الألمانية
زيجريد هونكه
وتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الغرب
عرض وتحليل

تأليف الدكتور
رمضان عبدالباسط سالم رفاعي

أستاذ العقيدة والفلسفة
المشارك في جامعة الملك خالد
والأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فإنه لابد لكل عمل علمي من هدف يسعى إليه، وغاية يقصدها، حتى يكون له أثره في واقع الحياة بكل أبعادها، لا سيما البعد الثقافي والمعرفي في إطار العلاقة بيننا وبين الآخر.

ومما لا شك فيه أننا نعيش الآن في عصر تشابكت فيه المصالح، وتعقدت فيه المشكلات، وتداخلت فيه الثقافات، ولم يعد هناك مكان للتقوقع أو الانعزال، ومن هنا تأتي أهمية التعرف على الثقافات الأخرى، والتوجهات الفكرية التي يموج بها عالمنا المعاصر، إننا نعتقد أن

الحوار أصبح ضرورة من ضرورات العصر، وهو الطريق السليم للتوصل إلى الفهم المشترك، والاحترام المتبادل، والقضاء على الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة.

وهنا يأتي دور المؤسسات العلمية والفكرية بل والدينية في غاية الأهمية، وتقتضي الضرورة الحتمية أن تكون العلاقة بينها وبين الآخر قائمة على المودة المتواصلة والقوية، ويمثل تلك المؤسسات: أولئك العلماء والمفكرون أصحاب الأقلام الراسخة في الوعي والفهم للتعامل مع الآخر، كما يمثل الآخر : فئة المستشرقين المعتدلين الذين لهم اليد الطولي في بناء العقلية الغربية، وتهيئتها للتعامل مع الشرق، وعن هذه وتلك تبنى جسور الحوار المتماسكة، والمتواصلة، وتعقد اللقاءات والندوات التي تجمع بينهم، " وليس هناك أدنى شك في أن مثل هذه الحوارات سيكون لها أبلغ الأثر الإيجابي على كلا الجانبين، فمن ناحية سيكون دعماً لهؤلاء المستشرقين، وتقوية لجانبهم، وتشجيعاً لاتجاهاتهم بهدف أن تصبح هذه الاتجاهات المعتدلة يوماً ما تياراً عاماً في الغرب يكون له تأثيره الفعال في تصحيح

الصورة الخاطئة عن الإسلام في العالم الغربي، ومن ناحية أخرى سيكون من نتائج هذا الحوار ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بأفكار استشراقية سلبية، والتخفيف من حدة اندفاعهم، وتقليدهم لهذه الأفكار، وإعادتهم إلى المواقف الإسلامية الصحيحة[1].

لقد كان من فلاسفة وعلماء الاستشراق من الفئة الرابعة ـــ حسب تصنيف بعض الباحثين [2] قادة أحرار، ومصلحون اجتماعيون قد أحسنوا الشهادة للإسلام والعرب وذلك على اختلاف لغاتهم وأوطانهم، وثقافاتهم.

---

(1) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري تأليف الدكتور/ محمود حمدي زقزوق ط دار المعارف بالقاهرة ص١٥٩، وانظر في ذلك القيم الإنسانية بين حضارتين عوامل الالتقاء وكيف ننميها تأليف /الأنبا يوحنا قلته بحث منشور ضمن كتاب المؤتمر السابع للفلسفة في جامعة القاهرة كلية دار العلوم ٢٠٠٢م.

(2) بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية (نشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر بالإسكندرية ١٩٨٣م به بحث بعنوان "أثر الحضارة الإسلامية في أوربا الغربية للدكتور / إبراهيم الشريقي ص١٨١-١٨٧.

لماذا الاستشراق الألماني؟

وفي مقدمة الكتابات الغربية المنصفة، والمعتدلة، والمتميزة بالموضوعية والتجرد والبعد عن التعصب، الاستشراق الألماني، وعلماؤه ومفكروه، وما ذلك إلا لأن الاستشراق الألماني يمتاز بما لم يتوافر إلا له وذلك من عدة جوانب: ـــ

أولها :ـــ أن المتتبع لحركة الاستشراق الألماني يرى أنه لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية، أو دينية كغيره من الاستشراق في بلدان أوربية أخرى فألمانيا لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، كما لم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق، وظلت محافظة على التجرد والروح العلمية، كما كان الاستشراق الألماني خلواً من الرواسب التي يعاني منها الفرنسيون، والإنجليز[1] وغيرهم.

ثانيها:ـــ لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام، والحضارة الإسلامية العربية متصفة ـــ في الغالب ـــ بروح عدائية.

---

(1) الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية د/ أحمد محمود هويدي ط القاهرة ٢٠٠٠م ص١٧١.

نعم لقد وجدت بعض آراء الألمان غير موافقة للعرب والمسلمين، أو كانت خاطئة تماماً كما هو حال (نولدكه [١٩٣٠م]) في رأيه عن الشعر الجاهلي، والقرآن الكريم، وآراء (فوللرز vullers [١٨٨٠]) عن القرآن وتهذيبه، إلا أن هذه الآراء كانت قليلة معدودة.

فالاستشراق الألماني لم يعرف مستشرقين جعلوا دأبهم وديدنهم عداء العرب والمسلمين، وتعمدوا الدس، والتشويه في دراساتهم بل بالعكس رافقت دراساتهم روح إعجاب وتقدير وحب وإنصاف أمثال (رايسكه) الذي سمى نفسه شهيد الأدب العربي، والذي يعتبر واضع الأساس المتين لدراسة العربية في أوروبا، وكذلك (جورج جاكــوب) في كتابه " أثر الشرق في العصر الوسيط" ، كما تجد ذلك واضحاً جلياً في المعاصرين ومن بينهم السيدة العالمة (زيجريد هونكه) التي نحن بصدد دراستها.

ثالثها:ــ لقد أتاحت هاتان الميزتان للاستشراف الألماني أن يقدم للعرب والمسلمين خدمات جليلة في جوانب عديدة منها : ــ

أ ــ أنه قام بنشر النصوص العربية القديمة، وبذل جهوداً مضنية في تحقيقها ونشرها فكان كالشمس التي أضاءت في الغرب قيم الإسلام ولغته وحضارته وعلومه.

ب ــ جانب الفهرسة للمخطوطات العربية التي كانت وعاءً يحتوي على ثقافة الإسلام وعلومه وحضارته ــ تلك المخطوطات التي كانت في خزانة المكتبات الألمانية.

ج ــ اهتمام الاستشراق الألماني بالمعاجم العربية.

د ــ اهتمامه بالدراسات المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية كدراسات (رايسكه (Reiske) ١٧١٦ــ١٧٧٤م) و(براج) ودراسات (فوك) عن اللغة واللهجات، و(شاخت) في الفقه الإسلامي و(آنا ماري شميل) وغيرهم.

رابعها:ــ الميزة الرابعة التي امتاز بها الاستشراق الألماني هو المنهج العلمي الدقيق الذي يعتبر مثالاً نادراً يحتذى. يكفي أنهم عملوا بحب وحماسة بقدر ما أسعفتهم به المعرفة والمصادر ولقد استدرك بعضهم على بعض

بإخلاص، وصحح بعضهم أخطاء بعض، وكانوا علماء حقاً يقبلون كل نقد وتصحيح [1].

ولعل هذا الجانب من التميز هو ما يعطي لدراستنا أهمية في مجال تقديم الإسلام إلى المفكر الأوربي، والدفاع عن حماه بأقلام غربية منصفة، تتسم بالحيدة، والنزاهة العلمية، والرؤية الموضوعية، على طريق جسور التلاقي، وإقامة الحوار بيننا وبين الغرب.

ويشهد التاريخ بتميز الاستشراق الألماني بموقف الحيدة والإنصاف، والدقة في البحث " فبين حين وآخر كانت تظهر هناك بعض الشخصيات التي لها وزنها، تتخذ إزاء الإسلام بعض المواقف الإيجابية، ومن بين هؤلاء القلاقل "فريدريك الثاني" حاكم صقلية الذي أصبح إمبراطوراً لألمانيا عام١٢١٥م، حيث كان يعرف العربية ويتقنها، ويتشبه بالعرب في لباسهم، وعاداتهم، ويتحمس

(١) المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية من ص٧-١٣ الجزء الأول دراسات جمعها وشارك فيها/ صلاح الدين المنجد ط دار الكتاب الجديد / بيروت لبنان ط الأولى ١٩٧٨م .

للفلسفة، والعلوم العربية وقد كانت هذه العلوم تدرس بشغف في قصره في (بالرمو)، وبذلك أصبحت في تناول اللاتينيين، وقد أهدى هذا الامبراطور وابنه (مانفرد) إلى جامعات بولونيا، وباريس ترجمات لكتب فلسفية مترجمة عن العربية، وفي عام ١٢٢٤م أسس الإمبراطور جامعة نابولي، وجعل منها أكاديمية لإدخال العلوم العربية إلى العالم الغربي.

وقد كان نصيب هذا الإمبراطور أن طرده البابا (جريجوري) التاسع * (Grlgory) من الكنيسة عام ١٢٣٩م، وقد كانت إحدى التهم التي وجهت إليه هي ما يبديه من مظاهر الود تجاه الإسلام [١].

بهذا احتل الفكر الألماني مكانة بارزة لدى المفكر العربي والإسلامي، وهو الأمر الذي يجعل لدراسته، والأخذ عن أعلامه قيمه، وثمرات يجنيها المسلم عندما يناقش الآخر

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام / لديبور ص٤١٧ والفكرالعربي في التاريخ تأليف / أوليري ترجمة إسماعيل بيطار ص٢٣٧ وما بعدها ط دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٢م وانظر ص٢٧ الاستشراق والخلفية الفكرية. د/ محمود حمدي زقزوق.

الذي غالباً ما يلزم جانب العداء والرفض للإسلام وأهله، ووصفه بأنه يحمل طابع الخوف والتطرف والإرهاب وهو الأمر الذي يحتاج منا أن نبرز تهافت هذا الزعم، وامتلاك ناصية الدفاع والرد.

لكننا لا نعمد إلى ردود المفكرين المسلمين أنفسهم، ولا اللجوء إلى نصوص من ديننا من تلقاء أنفسنا، وإنما نتخذ من أعلام الغرب ــ وخاصة الألماني ــ ما يعزز موقفنا، ويقوي حجتنا، فاخترنا العالمة الألمانية (زيجريد هونكه).

لماذا زيجريد هونكه؟

أما اختيارنا لهذه الشخصية دون غيرها، فذلك لتفردها بكثير من الجوانب والمواقف التي تدفعها دفعاً إلى قمة المفكرين الغربيين عموماً والمتميزين بإنصافهم وقوة حجتهم، وبلاغة منطقهم في الدفاع عن الإسلام أمام أبناء جنسهم في الغرب وهو ما يعطي لدراستها أهمية كبرى، ويحقق ثمرات يانعه من ورائها، ومن هذه الجوانب:ــ

أولاً : تأتي ورقة هذا البحث حول (هونكه) خاصة ــ بمثابة السلاح الذي نشهره في وجه الغرب، وهو سلاح من نوع آخر غير الذي تشير إليه الكلمة عند إطلاقها والذي يعني التدمير العنقودي أو الرصاصي أو التفجيري....الخ.

فهذا ليس من وسائلنا، ولا يتوائم مع منهجنا الفكري الذي رسمه لنا الإسلام لتحقيق أهدافنا، بل لم يعد ذا قيمة في باب الإقناع والتحاور، وإنما نقصد به سلاح الفكر والأخذ والرد عبر أدلة دامغه وبراهين ساطعة وهو أمضى الأسلحة وأقواها في هذا الجانب.

وبالنظر المتأمل في كتابات هونكه نراها تصرح بهذا الهدف وتؤكد عليه، بل نراها وجهت جل مؤلفاتها، وصاغتها بصورة دفاعية عن الإسلام لتوجيه دعوة صارخة في وجه الغرب لإقامة جسور التقارب والتعايش بينه وبين الإسلام في الوقت الذي تتعالى فيه الصيحات، والدعوات في الغرب بضرورة إقصاء الشرق الإسلامي بالذات عن واقع

الحياة، والحركة في الغرب لكونه يحمل طابع الخوف والتطرف والإرهاب، [1].

ثانياً : ــ إن مسيرتنا مع المستشرقة الألمانية (هونكه) يمكن أن يندرج بصورة مؤكدة في إحدى دوائر الحوار بين الحضارات، وصور التلاقي بين الثقافات، وهو ما يفتح الطريق السليم للتوصل إلى الفهم المشترك، والاحترام المتبادل، والقضاء على الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة. وهو ــ بالفعل ــ المنهج الذي قدمته العالمة الجليلة هونكه عندما حاورت بني جنسها وقدمت لهم صورة الإسلام الصحيحة مدافعة عن الإسلام بكل أسلحتها الفكرية، وخبراتها الواسعة في دراسة الإسلام.

وقد قدمت أنموذجاً رائعاً للعالم المنصف، والمدقق البارع الذي أفحم خصومه، برد كل الشبهات، ودحض كل

---

(1) انظر ما كتبته في ذلك، التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم/ لزيجريد هونكه ترجمة د/هاني صالح طبع دار الرشيد / مؤسسة الإيمان - بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م صفحات ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩ بل إن هذا الكتاب كله تقريباً كتبته للرد على الدعاوى الغربية ضد الإسلام وضرورة فتح أبواب التعايش والود معه والمقارنة بينه وبين المسيحية الغربية، كما سيظهر في حينه من هذا البحث.

المفتريات التي ألصقها الغرب بالإسلام. وذلك بصورة يحار معها المتبصر بأمر هذه المفكرة، والباحثة النابهة الخبيرة بأمر الإسلام وشرائعه وحضارته وتاريخه حتى لكأنك تحكم بأصالتها العربية والإسلامية مع أول صفحة من كتبها، فلم تكن تتوقع أنها مولودة ألمانية غربية في أحضان المسيحية، بل مما يحار معه عقل الأريب، وفقه المتابع لكتاباتها أنه يراها، متعقبة لكل أذقة المسيحية، وكوامنها من أفكار ضالة، وشبهات يصوبها الغرب المنحرف تجاه الإسلام ورسوله وكتابه، وعلاقته بخصومه بصورة مفحمة، وأدلة دامغة.

فقد كانت تنظر إلى العرب والمسلمين باعتبارهم دعاة سلام وحضارة، وتبطل ادعاءات الغرب الباطلة التي تصفهم بالشراسة، والهمجية، والتعصب.

ثالثاً : ـ إن تقديم هذه الورقة، وبهذا الطرح في التناول والمعالجة لموضوع الحوار مع الغرب بلسان الغرب وقلمه (زيجريد هونكه) إنما هو لإبراز ما كتبه الباحثون الغربيون عن الإسلام بعد أن درسوه على حقيقته مجردين

من الهوى والتعصب، وهو إذن إلقاء للضوء على رسالة الإسلام الأخلاقية السامية، ودعوته الإنسانية العالمية، فلم تسمع الإنسانية من قبل صوتاً أعلى من صوت الإسلام، ولا بياناً أروع من بيانه، ولا سماحة أعظم من سماحته، بل ولا أخلاقاً أعظم من أخلاقه، ولا تشريعاً أجمل ولا أشمل لمتطلبات الروح والبدن من تشريعاته، وليس مستغرباً أن ينصفه العشرات من أعلام الثقافة الغربية بعد أن وقفوا على مبادئه القويمة.

ولعل في وثائق وشهادات الإنصاف الغربي لعظمة الإسلام، الرد العلمي والعملي والموضوعي على حملات تشويه صورة الإسلام في الغرب.

رابعاً : ــ إن في اختيار (هونكه) بالتحديد خاصة وأنها امرأة غربية تتقلب بين أحضان الحضارة الغربية بكل صورها وأشكالها منذ ميلادها وحتى وفاتها، وهي امرأة لها وزنها ومكانتها في المجتمع الأوربي عموماً.

لعل في اختيارها ما يرفع أمام عيون الغرب، وعقول أبنائه الإصر والأغلال التي أثقل بها كاهل الغربي عموماً

والمرأة خصوصاً، ويذيب البقع السوداء التي ألصقها الغرب بالإسلام فيما يتعلق بالمرأة، وخاصة في هذا الوقت الذي تتعالى فيه الصيحات، وتتبارى فيه الأقلام بالمناداة بحرية المرأة، ومساواتها بالرجال في الحقوق، وزي المرأة، .....الخ، تلك الدعوات المكذوبة، التي انكشف زيفها، وظهرت الأهداف والغايات التي ابتغاها الغرب من وراء إثارتها، وفي طليعتها بث القلاقل والاضطرابات داخل المجتمع الإسلامي، وهز كيان الأسرة المستقر وفق تعاليم السماء، التي لم تمس يوماً ما حقاً، ولا جزءاً من حقوق المرأة التي كفلتها لها، ولا شأنا من شئونها.

كما قصد الغرب من وراء دعواته المسعورة هذه إلى إخراج المرأة المسلمة من أثواب العفة والطهارة إلى ارتداء الشذوذ، والمتاجرة بأعراضها وهو ما اكتوت ــ وما زالت تتلظى ــ بنيرانه، وتحترق بلهيبه أختها الغربية، فجاءت دراستنا لهذه العالمة الغربية (هونكه) لتقديم رؤيتها إلى المجتمع الأوربي عموماً، والمرأة الغربيه خصوصاً لتكون بمثابة حوار ندفع به تلك الدعوات المسمومة، ونواجه

به هجوماً ضارياً شنه الغرب بسلاح الغرب ذاته وفي نفس الوقت نواجه به المرأة المسلمة في ديارنا التي انزلقت في بحار التغريب، وانساقت وراء أقلام مأجورة غرَّها بريق الحضارة الغربية الزائف لنعود بها إلى بر الأمان وجو الإسلام.

الخطة والمنهج

وقد أقمت دراستي هذه على منهج الاستقراء والتتبع لجهود هذه العالمة الدكتورة/هونكه، ومواقفها من الغرب، وعرضت جهودها محللاً لها، ومبرزاً لقيمتها العلمية والمنهجية، مشيراً إلى أنها أنتهجت في دفاعها عن الإسلام، ورسم صورته الحقيقية في مواجهة الصورة المخزية التي رسمها الغرب له منهجين : —

الأول: منهج رد الشبهات مدعومة بالأدلة من نصوص الإسلام، والكتاب المقدس، والمنطقية، والتاريخية، والواقعية، مستعينة بأقوال بعض أعلام الغرب الذين يعترف لهم الغرب بالثبات، والرسوخ العلمي وهو ما يقوي حجتها ويعزز موقفها في مواجهة للغرب.

الثاني : منهج المقارنة بين الإسلام والنصرانية بهدف إبراز عظمة الإسلام، وحضارته في وجه المخازي، والمساوئ النصرانية، وهي هنا أيضاً تعتمد على الأدلة التاريخية والوقائع، والمشاهد الحيوية التي يدركها العربي والغربي على حدٍ سواء، بل يعترف بها الغربي على اختلاف ثقافته، لأن الصورة المشاهدة لها من قوة التأثير في النفوس ما لا تحدثه الكلمة المقروءة أو المسموعة وإن طال أمدها.

كما جاء عرضي لهذا المنهج بعيداً عن الإطناب الباعث على الملل، والإيجاز الموقع في الخلل، متحرياً ـ قدر استطاعتي ـ التركيز على أهم القضايا التي وجهت الباحثةُ د/هونكه إليها إهتمامها، كما اخترت من عباراتها أوجزها، وأكثرها عمقاً، ودلالة على موقفها، وقوة حجتها، وقدمت ذلك للقارئ الكريم وفق خطة اقتضاها البحث قائمة على مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

أما **المقدمة** : فقد أشرت فيها إلى أهمية دراسة الموضوع، ومنهجه، وخطته.

وأما **الفصل الأول** : فقد تناولت فيه تقديم شخصية الدراسة معرفاً بمولدها، وحياتها العلمية، ومؤلفاتها، ومكانة المرموقة في الفكر الغربي، والعالمي بما نالت من أوسمة، ونياشين، وختمت ذلك بمحاولة التعرف على ديانتها.

وأما **الفصل الثاني** : فقد نقلت فيه صورة الإسلام، والمسلمين، والعرب النمطية السلبية الشائهة لدى الغرب، وذلك من خلال ما كتبته د/هونكه ـــ وعلى لسانها، ثم حددت فيه ـــ كذلك ـــ دوافع الغرب من وراء تشويه الإسلام.

وأما **الفصل الثالث** : فقد أظهرت فيه جهود الدكتورة/هونكه في رد الشبهات، وتصحيح صورة الإسلام، وقد جاء على ستة مباحث تمثل ستة قضايا رئيسه صالت وجالت د/هونكه في إبطال مخازي الغرب، ومزاعمه نحوها، وإبراز عظمة الإسلام فيها.

فالمبحث الأول : في مفهوم الإسلام .

والمبحث الثاني : في القرآن الكريم .

والمبحث الثالث : في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وتسمية أتباعه بـــ (المحمديين) .

والمبحث الرابع : في سماحة الإسلام، وتزييف فرية انتشار الإسلام بالسيف.

والمبحث الخامس : في تقديم د/هونكه لصورة الإنسان المسلم، وفضح التصورات الغربية الشائهة له.

والمبحث السادس : في قضية تعد من أخطر القضايا بين الغرب والشرق في العصر الحديث وهي قضية المرأة.

وأما **الفصل الرابع** : فقد خصصته للحديث عن الإسلام ، وبناء الحضارة وتفنيد د/هونكه لمزاعم الغرب.

وقد نالت هذه القضية أكبر قدر من اهتماماتها ــ تقريباً ــ ويكفي سفرها النفيس (شمس العرب تسطع على الغرب) دليلاً على ذلك.

فأظهرت في **المبحث الأول** : مقومات النهوض الحضاري في الإسلام.

وفي **المبحث الثاني** : إبطال فرية قذف العقلية العربية بالعقم، وإظهار العبقرية العربية بكل معانيها، واستاذية العربية للغرب، بل للعالم كله في الحضارة، وإرساء قواعدها، وإبداع المنهج العلمي التجريبي القائم على تعاليم الإسلام.

وفي **المبحث الثالث** : دافعت عن العرب ففندت وصفهم بالهمجية، وأنهم أحرقوا مكتبة الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأدلة لا تقبل الجدل، وتتهاوى معها أكاذيب الغرب.

وأما **الفصل الخامس** : فقد أبرزت فيه منهج المقارنة بين مكارم الإسلام، ومخازي النصرانية أو بين تعاليم الإسلام، وتعاليم الكنيسة، وذلك من خلال رؤية الباحثة د/هونكه

مؤكداً على أنها قد عمدت إليه بهدف تزييف مزاعم النصارى حول الإسلام، وقد جاءت صياغتها وفق خمسة مباحث: ــ

المبحث الأول : بين يدي المنهج، بينت فيه أهميته في تصحيح صورة الإسلام، وهدف الغرب من استخدامه.

المبحث الثاني : نموذج الفروسية.

المبحث الثالث : نموذج العقيدة .

المبحث الرابع : نموذج العلم والعلماء.

المبحث الخامس : تناولت فيه رؤية د/هونكه لمستقبل الإسلام، ونداءاتها المتكررة في الشرق الإسلامي بالعودة إلى الإسلام، والتزام منهاجه الأصيلة والبعد عن التغريب، والحذر من الهويِّ في مستنقعه الآثن. كما وجهت نداءاتها إلى الغرب

الكنسي بقبول الإسلام، والتماس النجاة في سبيله، فهو منقذ الغرب بلا ريب، وأن المستقبل الحقيقي له شاء الغرب أم أبى.

وأخيراً ختمت البحث بخاتمة تضمنت بعض النتائج وأهمها.

والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل

"""""

الفصل الأول

زيجريد هونكه ومكانتها العلمية

ويشمل على النقاط التالية : ـ

- مولدها ونشأتها.
- حياتها العلمية .
- مؤلفاتها.
- أوسمة ونياشين .
- هل أسلمت؟

زيجريد هونكه (Sigrid Hunke) [١٩١٣-١٩٩٩م]

في سطور : ـ

وهذه سطور موجزة نقدم فيها شخصية مرموقة، لها مكانتها في الفكر الغربي عموماً، والألماني خصوصاً، وتستحق الدراسة والبحث ليس فقط للأمور التي ذكرناها، وإنما لكونها تمثل فكراً ناضجاً، وتحمل قلماً كالسيف لم تستعمله ـ تقريباً ـ إلا في وجه المسيحية ورجالاتها ـ وهي إحدى بناتها ـ ولم توجهه إلا في وجه الغرب وإليه نسبتها .. ولم تدافع به إلا عن الإسلام كتاباً، وسنة، وشريعة، ولغة، وحضارة، وسماحة، وأخلاقاً، بل تفوقت ـ والله ـ على كثيرين من أبناء الإسلام المنوط بهم حراسته والدفاع عنه.

ولما كانت هونكه من الشهرة في الأوساط العلمية العالمية بمكان. فإني رأيت أن يكون الحديث أوسع وأكثر اهتماماً في إبراز جهودها، والمتابعة الدقيقة لمواقفها الجهاديه من تلك الزيوف التي ألصقها الغرب بالإسلام، لحاجتنا الملحة إلى مثل هذا الموقف.

على أن جانب التعريف بها إنما تكفي فيه الإشارة بالقدر الذي يقدم للقارئ العربي والغربي القيمة الحقيقية لهذه العالمة، وبما يجعل لآرائها سنداً، وقوة، ولنا دليلاً وبرهاناً يسعفنا عند التحاكم إليه في حوارنا مع الغرب، فكم نحتاج في عالمنا العربي المعاصر إلى مثل هذه العالمة التي وقفت تدافع عن ماضينا التليد لتعيد إلينا رونق الثقافة والتاريخ العربيين اللذين طمستهما التعصبات الدينية، ونالت منهما أقلام وألسنة الافتراء الغربي، فكان موقفها مشرفاً وخالداً خلود تراثنا العريق، ويكفي دليلاً على ذلك مئات التعليقات الصادرة في الصحف والمجلات التي تتهمها في الغرب بالتعصب للعرب والتحيز [1] لهم ولدينهم مما أدى إلى تعرضها لحملات استياء في موطنها جعلها تنضم إلى بعض الجمعيات الوطنية الألمانية لكف الأذى عنها.

---

(1) انظر شمس العرب تسطع على الغرب للمؤلفة/ زيجريد هونكه من منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص٨.

▪ مولدها ونشأتها : ــ

ففي "هامبورغ" بولاية "بافاريا" بألمانيا ولدت الدكتورة "زيجريد هونكه" ولدت في ٢٦ إبريل سنة ١٩١٣م.

وفي هذه البلدة نشأت، وفيها عاشت، وتزوجت من الدكتور " شولتزا" وهو المستشرق الألماني الكبير الذي اشتهر بصداقته للعرب، وتعمقه في دراسة آدابهم، والاطلاع على آثارهم، ومآثرهم، ويبدو أن الوقوف على الشرق، وثقافته، وعلومه، وحضارته قد جمع بين هذين العلمين من أعلام ألمانيا، فألف بينهما ووحَّد غايتهما، فأديا رسالة سامية، قوامها الدعوة إلى توطيد العلاقة بين الشرق والغرب، ولقد عاشت مع زوجها، وأولادها في منزل (ببون) أثثته على طراز عربي، لتشعر بسعادة غامرة، ولتحس أنها في جو قوم أحبتهم حباً شديداً، فربطتها بهم ثقافة إنسانية خيره، وفكر شمولي معطاء [١].

---

(١) شمس العرب ص٨.

- **حياتها العلمية :ـ**

دفعها حبها للعرب حتى آخر رمق من حياتها إلى دراسة علومهم بشغف، والاطلاع عليها بنهم، فدرست : علم أصول الأديان، ومقارنة الأديان، والفلسفة، وعلم النفس، والصحافة، وغيرها. وتخصصت في الدراسات المقارنة بين الحضارات والديانات، ولقد صرفت كل وقتها باذلة جهدها للدفاع عن قضايا العرب، والوقوف إلى جانبهم، والانتقاص الشديد للمسيحية، ومهاجمة القساوسة والبابوات [1] الذين أحكموا وثاق المجتمع الأوربي بأسره داخل تعاليم الكنيسة، وهو ما القي الغرب كله في أودية الجهل والتخلف الحضاري في الوقت الذي وقفت فيه هونكه على علوم العرب وثقافتهم، وتعمقت في نظرتها إلى حضارتهم، فأدركت أن سر تفوقهم هو ما يحملوه في قلوبهم، وقوالبهم من تعاليم الإسلام، وما يحرّك حياتهم من استمساكهم بشخص نبيهم (ﷺ).

---

(1) انظر في ألمانيا أصابت امرأة وأخطأ البابا للدكتور / صلاح سلطان ص٣.

لذا كانت دائماً لا تفتأ تعقد مقارنات بين الإسلام والمسيحية، وبين تعاليم النبي محمد (ﷺ) وبين تعاليم الكنيسة، كل ذلك لتعلن عن شمس العرب التي سطعت في الشرق، وهي السبيل الأكيد لسطوع حضارة الغرب وليست الكنيسة ورجالها.

* كما درست هونكه وتعلمت اللغة العربية وأتقنتها، وأخذت في قراءة الكتب العربية والتاريخ العربي، وبالأخص مرحلة فتح العرب للأندلس والفترة التي كانت تحت قيادتهم، وعند دراستها للإسلام انطلقت في دراسته من منابعه، وليس مما يروجه الغرب عنه.

* كما جاءت أطروحتها التي تقدمت بها لنيل درجة العالمية "الدكتوراه" ترجمة صريحة وواضحة لشخصية الكاتبة هونكه حيث أفرزت فيها ما بداخلها من حب وتقدير وإنصاف مُدْعم بالأدلة والبراهين الساطعة التي دافعت بها عن لغة العرب وروعة بيانهم، وشموخ أدبهم لاسيما الشعر وفن الغزل، الذي تبوءوا به المكانة السامقة بين الأمم والشعوب، كما أظهرت نبوغها، وتمكنها من اللغة العربية

وجاءت رسالتها كردٍ حاسم، ودفاع بطولي شهد به علماء المناقشة والحكم عليها في وجه الغرب الذين كانوا ينسبون شعر الغزل في القرون الوسطى الذي نظمه الشعراء الجوالون في أوربا إلى التراث الإغريقي.

وكان عنوان الرسالة " حول تأثير الأنماط الغريبة في ضوء فن الغزل العربي والألماني " (١) وقد برز دفاعها في حلقة المناقشة العلنية إذ تقول : ــ

" ومن قبيل الصدف أن رسالة الدكتوراه هذه كانت من بين المراجع التي استند إليها العضو الذي تبنى الافتراض القائل بالأصل غير العربي مُرْجِعاً إياه إلى "أوفيد" بينما كان المشرف على الرسالة نفسه مستشرقاً عمدة ومرجعاً رئيساً في ميدان الحضارة العربية والمعرفة بالعرب، وقد صرح المشرف بأنه مقتنع بصحة الأدلة

---

(١) وبعض المترجمين يذكر رسالتها هذه تحت مسمى " أثر الأدب العربي في الآداب الأوربية " انظر " قالوا عن الإسلام" تأليف الدكتور / عماد الدين خليل طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ص٢٥١. وانظر صورة الإسلام في مرايا المفكرين مقال للدكتور/ حسين علي محمد على شبكة الإنترنت منتدى القصة العربية بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٦م.

والبراهين التي أكدت بها المؤلفة الأصل العربي لفن الغزل[١]، وحصلت على الدكتوراه بجدارة.

نعم لقد اسقطت رسالتها مزاعم أوربا، وفندت أدعاء الألمان الذي ينسب فن الغزل العربي إلى التراث الإغريقي وذلك حيث تقول: إن فن الغزل عربي النشأة تفجرت عيونه السخية في دنيا العرب، وتلك حقيقة أبى الغرب إلا أن ينكرها إنكاراً، وأصر على ذلك إصراراً، ولم تتهاوى مزاعم المستشرقين الألمان، أحكامهم في هذا الميدان، إلا بعد أن تقدمت المؤلفة عام ١٩٣٩م بأطروحتها لنيل الدكتوراه من جامعة همبولدت في برلين" [٢].

فهي إذن تكتب عن دراسة، وفحص، واقتناع، وليس عن أهواء شخصية، أو أغراض منفعية.

* لم تكن هونكه في نظرتها إلى الإسلام والعرب قاصرة على قراءة تراث المسلمين المتدفق عبر رؤى

---

(١) انظر الله ليس كذلك للمؤلفة زيجريد هونكه ترجمة د/ غريب محمد غريب ط دار الشروق مؤسسة بافاريا - مجلة النور الكويتية ص٩٣.

(٢) الله ليس كذلك ص٦٩.

ودراسات وترجمات المفكرين الغربيين، وإنما رحلت مع زوجها إلى العديد من البلاد الإسلامية والعربية.

فقد رحلت مع زوجها الدكتور "شولتزا" وأقامت معه عامين اثنين في "مراكش" كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية الأخرى دارسة فاحصة.

* مؤلفاتها: ــ

لقد قدمت هونكه للعالمين الغربي والشرقي مجموعة أعمال تمثل زاداً ومستنداً بل وثائق نادرة تضم إلى المكتبة الإسلامية يرجع إليه مفكروا الإسلام وعلماؤه في مواجهة الحملات العربية ضد الإسلام وأهله منها : ــ

١ــ حول تأثير الأنماط الغربية في ضوء فن الغزل العربي والألماني سنة ١٩٣٩م وهي الرسالة التي أعدتها للدكتوراه ــ كما سبق.

٢ــ في البدء كانا رجلاً وامرأة سنة ١٩٥٥م وهو أول مؤلفاتها بعد الدكتوراه.

٣ــ شمس العرب تسطع على الغرب سنة

١٩٦٠م[١]. ويعد هذا الكتاب أعظم موسوعة علمية تبين الأثر الحضاري للإسلام على الغرب، حتى نهض من غفوته ويعتبر هذا الكتاب البوابة الحقيقية التي عبرت منها هونكه نحو الشهرة العالمية وهو أهم كتبها على الإطلاق إذ يمثل دفاعاً قوياً عن الإسلام، وفيه تربط هونكه بين حضارة العرب، ورقيهم، وحملهم مشعل الحضارة لمدة ٧٥٠عاماً، وبين الإسلام كدين رقي وتحضر، يدعو لنشر السلام، واحترام الآخر، وطلب العلم، والحث على مكارم الأخلاق، وصدرت ترجمته العربية بعنوان " فضل العرب على أوربا " سنة ١٩٦٤م.ولقد بيعت منه ملايين النسخ، وترجم هذا الكتاب إلى ١٧لغة، وأحدث ضجة كبرى في الأوساط الثقافية في أوربا وألمانيا، حيث هاجمه الكثيرون واتهموا هونكه بالتعصب للعرب والإسلام وانبرى للدفاع عنهما آخرون، وبذلك حقق نجاحاً منقطع النظير منذ تأليفه، ومازالت نجاحاته قائمة على مستوى العالم غرباً وشرقاً[٢].

---

(١) انظر كتابها الله ليس كذلك ص٧.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب (اثر الحضارة العربية في أوربة).ص٨.

وتتحدث هونكه في مقدمة هذا الكتاب عن سبب تأليفه بل عن سر اتجاهها إلى العرب ودراسة أحوالهم في كل مؤلفاتها، وسبب دفاعها عن دينهم وحضارتهم ألا وهو الدعوة إلى توثيق الصلة، وإقامة جسور التلاقي والترابط بين العرب وألمانيا فكرياً وثقافياً، وحضارياً وذلك ــ في نظرهاــ لحاجة أوربا عموماً وألمانيا خصوصاً إلى عقلية العرب وحضارتهم والتلمذة على أيديهم في كل ميادين الحياة إذ تقول :ــ

" لم يكن من قبيل المصادفة بتة" أن أكتب أنا السيدة الألمانية هذا الكتاب فالعرب والألمان لا تربطهم فقط أيام دولتهم القوية التي انقسمت الآن، والتي بدأت صعودها من جديد بقوة وحيوية وعزم، إنما هي رابطة قوية في الفكر والثقافة، قد وثقت العرى بينهما، امتدت جذورها في أعماق التاريخ، واستمرت على مر القرون، ولازالت أثارها حتى اليوم وقد ظهرت معالم تلك الروابط، واتخذت طابع الصداقة، والمودة منذ أوقف قيصر"ألماني عظيم"، أحب

العرب، وأعجب بهم، سفك الدماء في وقت سادت فيه العداوة والبغضاء بينهما أيام الحروب الصليبية، فأحل بذلك الصداقة المتبادلة محل الكراهية، والتعصب والعداء، ومنذ ذلك الحين نمت أواصر المودة بين ألمانيه والعالم العربي، وعلى الرغم من هذا ـ أقولها بمرارة ـ فإن الناس عندنا لا يعرفون إلا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة، ودورها في نمو حضارة الغرب.

لهذا صممت على كتابة هذا المؤلف، وأردت أن أكرم العبقرية العربية، وأن أتيح لمواطنيَّ فرصة العود إلى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلاً تعصب ديني أعمى أو جهل أحمق،

وكم سررت أن يترجم كتابي هذا إلى اللغة العربية حتى أستطيع أن أحدِّث مباشرة قلوب العرب بما يعتمل في نفوسنا من المشاعر وآمل مخلصة أن يحتل هذا الكتاب

مكانة في العالم العربي أيضاً كسجل لماضي العرب العظيم، وأثرهم المثمر على أوربة والعالم قاطبة[1].

٤ـ الرايخ وأوربا المتطورة سنة (١٩١٧م).

٥ـ المنشور بعد الشيوعي سنة (١٩٧٤م).

٦ـ الإبل على بلاط قيصر. وقد صدرت أول طبعة له سنة ١٩٧٦م كما أخبرت بذلك بعنوان " قوافل عربية في رحاب القيصر" ولخصت الغاية من تأليفه وهي أن تخرج إلى النور أهم الإنجازات، والتأثيرات العربية ذات الفضل على العلوم والفنون في أوربا[2].ثم ترجمت وطبعت طبعته العربية الأولى سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ونشرته مكتبة العبيكان.

---

(١) شمس العرب ص٩ ،١٠٠، وانظر في ذلك الموسوعة الحرة على موقع ويكيبيديا ص٢٠ عدد سبتمر ٢٠٠٧، قالوا عن الإسلام ص٢٥١، الإسلام في عيون غربية د/ محمد عمارة ط الأولى دار الشروق ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦/ ص٣١٩، في ألمانيا أصابت امرأة وأخطأ البابا ص٣.

(٢) انظر الإبل على بلاط قيصر للمؤلفة زيجريد هونكه ترجمة د/ حسام الشيمي ص٦، الله ليس كذلك ص٨.

٧ــ كما كانت لها مقالات عدة في صحف غربية وعربية، وأعدت أحاديث وتمثيليات للإذاعات العربية والألمانية، وشاركت الأستاذ الدكتور مصطفى ماهر[1] وآخرين من كتاب ألمانيا، والعالم العربي وأشهر ذلك مقالها الكبير تحت عنوان "أنهار من الشرق تسقي حقول الثقافة الألمانية" وذلك سنة ١٩٧٤م، وقد لخصته في بعض كتبها كالابل على بلاط قيصر، والتوجه الأوربي إلى العرب والإسلام.

٨ــ العقيدة والمعرفة وقد تناولت فيه عظمة العقلية العربية التي تنطلق من وحي السماء وترتبط بتعاليم النبي (ﷺ)، وعقيدة المسلم الداعية إلى الغوص في أعماق الكون، والسير في طريق العلم والمعرفة وقد صدرت ترجمته العربية سنة ١٩٨٧م، بدمشق.

---

(١) هو مفكر عربي اتجهت دراساته إلى الاستشراق الألماني. انظر مؤلفه " ألمانيا والعالم العربي " ط بيروت سنة١٩٧٤م.

٩ــ التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم ــ طبع سنة ١٩٩٨م وقد أبرزت فيه دور الحضارة العربية الإسلامية في نهضة أوربا التي عاشت قروناً طويلة في ظلمات الجهل والتخلف في الوقت الذي بلغت فيه حضارة الإسلام أوج تقدمها، وازدهارها.

وقد بلغت الكتابة في هذا الكتاب درجة رفيعة من الحنكة، فلم تترك جانباً من جوانب الحياة إلا وأتت عليه من القتال والسلاح، والفروسية مروراً بالديانة والأشعار وكم كانت عظيمة، ودقيقة، ومنصفة للمرأة عندما أبرزت مفهوم الغزل في الإسلام، ومعطياته التشريعية عندما صاغه العرب وتعلمت منه أوربا، ورمت إلى التأكيد على أن الغزل في الإسلام لم يكن مقصوداً به الحط من قيمة المرأة، وأنها مجرد سلعة في الأسواق، أو لعبة يتسلى بها الرجال ثم يلقونها وإنما قصد الإسلام بالمرأة المساواة مع

الرجل في الحقوق والواجبات، وأنها محل اهتمامه وتكريمه على عكس المرأة في الغرب، ونظرة الأوربي إليها، مبرزة بذلك عظمة المرأة، ومكانتها في الإسلام على طريق الشهادة الموثقة من امرأة غربية لأختها الشرقية.

١٠ـ " الله ليس كذلك " الذي كتبته أول تسعينيات القرن العشرين وقد ترجمه إلى العربية الدكتور/غريب محمد غريب وطبع سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م طبعته الأولى والثانية في سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م في دار الشروق، ونشرته مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام ـ بألمانيا الاتحادية ،

ويعد هذا الكتاب من أهم كتبها على الإطلاق بعد " شمس العرب " إذ إنها في شمس العرب ـ كما سبق ـ تناولت فيه عظمة حضارة العرب وأثرها على أوربا ـ وفي هذا الكتاب تتجه بكل كيانها وأسلحتها إلى دحض الشبهات المزرية التي يلصقها الغرب بالإسلام وحضارته.

ومن هنا يعد الكتاب أقوى كتبها وآخرها ـــ تقريباً ـــ للرد على الغرب وتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في العقل والوجدان الغربي وذلك بأدلة نادرة، وشواهد غير منقوضة، وإليه المرجع في بحثنا،

* كما لم تكتف الباحثة العالمة بمجرد التأليف والكتابة نظرياً، وإنما قامت بالتدريس والتعليم، ونشر أفكارها بين أروقة الجامعات الغربية والشرقية : ـــ

فدرَّست الفلسفة، وعلم النفس الجمعي للشعوب، وعلم الأديان المقارن، واللغة الألمانية وآدابها، وتاريخ القرون الوسطى.

■ أوسمة ونياشين: ـــ

لما لهذه العالمة من دور فريد فهي من أوائل الباحثين الغربيين الذين فندوا الأحكام المغلوطة، والتهم الملفقة التي ألصقها الغرب بالعرب والمسلمين، فلذلك حرص المسلمون على تكريمها، كلما زارت دولة إسلامية، وصارت لها مكانة كبيرة في نفوس المسلمين والعرب.

* فنالت عدداً من الأوسمة والأنواط، ومنحتها مصر وسام النجمة الكبرى تقديراً لجهودها في الدفاع عن القضايا الإسلامية، وهي عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

* كما حصلت على جائزة وسام الفيلسوف "كانت" سنة ١٩٨١م.

* وجائزة الشاعر " شلير" للألمان سنة ١٩٨٥م.

* ووسام الاستحقاق والتقدير المصري من الطبقة الرفيعة في العلوم والفنون سنة ١٩٨٨م.

* كما تلقت أكثر من عشرين دعوة من رؤساء دول، وحكومات، وجامعات إسلامية وعربية، كبغداد سنة ١٩٦٢م، والجمهورية العربية المتحدة وغيرهما إعراباً عن تقديرها وعرفاناً لها بالجميل لجهودها في خدمة العرب[١].

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص٨، الإسلام في عيون غربيه ص٣٢٠.

■ **هل أسلمت :ــ**

كثيراً ما كان هذا التساؤل الهام حول هذه الشخصية البارزة ما يعتريني، ويلح بقوة بحثاً عن جواب. فتابعت دراستها، لعلي أظفر بجواب شاف لما له من أهمية قصوى في حركة البحث ووجهته، ولكني لم أجد في النهاية إلا إشارة وردت بصورة التعليق والتضعيف، ولم ترفع إلينا دليلاً جازماً أو حكماً فاصلاً ترتاح النفس لسماعه.

ففي الموسوعة الحرة على موقع ويكيبيديا على شبكة الإنترنت نص يقول: " قيل إنها أسلمت في آخر عمرها، قبل عام من وفاتها، وكانت وفاتها في هامبورغ عام ١٩٩٩م " أ ــ هــ .

وأنت ترى أن القول غير صريح في الحكم. على أننا بمقدار ما كنا نتمنى لها أن تحظى بشرف النسبة إلى هذا الدين الذي قضت نحبها في الدفاع عن حماه، وإسقاط الشبهات الملفقة من الغرب إليه إلا أن موقفها ــ على فرض أنها ظلت على ديانتها المسيحية ــ في وسط المواقف الأخرى للغرب عموماً وللمفكرين خصوصاً يأتي بمثابة

النور الكاشف للحقائق، وهو ما يجعلنا نتهلل فرحاً وتيهاً بتلك البارقة التي تلوح في الدراسات التي تصدر عن الغرب وكم هي قليلة وغالية وحاجتنا إليها ماسة وملحة في مواجهة الآخر؟

الفصل الثاني

صورة الإسلام والمسلمين والعرب النمطية الشائعة لدى الغرب

ويشمل على مبحثين : ـــ

المبحث الأول : عرض الدكتورة هونكه لهذه الصورة.

المبحث الثاني : دوافع الغرب لتشويه الإسلام.

المبحث الأول

عرض الدكتورة هونكه لهذه الصورة

بدأت الدكتورة هونكه جهودها في مواجهة الغرب بعرض تصوره الشائن، وكشف زيوفه تجاه الإسلام، وتعقب ما تلوكه ألسنة الغرب، وتطفح به من تحقير وتشويه للعرب والمسلمين، وخاصة أقلام الكثيرين من كتابه، ومفكريه، قديماً وحديثاً ثم كرت عليها بالنقض والإبطال، والإسقاط بأسلحة قوية، وأدلة دامغة وذلك بإبراز الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين والعرب، وها نحن الآن نقدم عرضها لصورة الإسلام في الغرب أولاً ثم نتبعها بردودها وتصويرها .

صورة الغرب :

تجسد الدكتوره هونكه تلك الصورة حيث تقول :

" لقد استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوربيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب الذي يصمهم جهلاً وعدواناً بأنهم رعاة الماعز، والأغنام الأجلاف .. لابسوا الخرق

المهلهلة ... أو أنهم محدثوا الثراء الفاحش من شيوخ البترول المتكئون على أرصدتهم الضخمة التي تطفح بها بنوك سويسرا ... ولا يزال الغرب يحذر من سطوة الإسلام الحربي الذي يتهددهم .. متحيناً الفرصة للانقضاض .. ولا يزال القوم يروجون للخرافات السائدة هنا مثل استعباد الإسلام للمرأة ..." (١).

ونتفق مع المفكر الفرنسي " رومان رولاند " في تصويره للعلاقة بين الغرب النصراني والعالم الإسلامي وأن الغرب ينظر إلى العرب والعروبة بسوء الفهم والتشويه لمعالمه وذلك في قوله: ليس ثمة شعب يسئ الغرب فهمه كالعرب والعروبة ... وإن العلاقة بينهما لترزح منذ قرون تحت أثــقال شتى ... وقد أسهمت " الآراء المسبقة" في مسخها وتشويهها، على الغرب من أننا نقف موقفاً سمحاً من شعوب أخرى ذات أديان وضعية ليست من ديننا ... (٢).

(١) الله ليس كذلك ص٨.

(٢) الله ليس كذلك ص٧.

كما تقول : لقد أصر الغرب على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام التعسفية، والافتراءات الجماعية دفنا [١].

كما وجهت نظرتها إلى أعلام الغرب، ونقلت رؤيتهم المشوهة قائلة: لا ينجو من التجني على العرب والمسلمين بعض أعلام الغرب النابهين المشهورين في عصرنا الحديث الذين يرمون العقلية العربية بالعقم، والتقليد الأعمى للغرب المتحضر، وأنهم [٢] لا يملكون موهبة الإبداع والابتكار، وأن دورهم مع الحضارات دور الإبادة أو الحرق البربري أي دور الببغاء، أو ساعي البريد الذي يقتصر دوره على أداء الرسائل إلى ذويها [٣].

كما تشير إلى أن الإسلام والمسلمين والعرب لم ينجو من هرطقات البابوات إذ غرس البابا أوربان الثاني بندائه الآثم إلى وعاظ الحروب الصليبية بضرورة تخليص قبر المسيح من أولئك المسلمين والعرب الذين وصفهم بـــ "

---

(١) المصدر والصفحة نفسها .

(٢) أي العرب

(٣) الله ليس كذلك ص٩، وسيأتي العرض الكامل لهذا الجانب ورد د/ هونكه عليه في حينه إن شاء الله تعالى .

أعداء الله "، "سفلة أوغاد"، وسبهم بأنهم " مستبيحوا قبر السميح " .

كما شوه الإسلام دينهم، والله إلههم، ومحمداً نبيهم، وهو ما أثار الغرب كله، وألقى في نفوس الغربيين ما هو أبعد من الازدراء بالعرب لقد أضرم في نفوس الفرسان الأوربيين الرغبة والاستعداد الملتهبين لعقابهم، كما رأوا في أنفسهم أنهم أرقى وأفضل من أولئك "السفلة" بل لقد باتوا يعتقدون أنهم بحق "صفوة خلق الله" وفي الوقت ذاته رأوا في العرب شرذمة، لا يجدر بهم سوى الاحتقار ولازدراء في الدرك الأسفل، هكذا انطلقت كلمات البابا العارية عن كل صواب واعتدال المغرقة في الاستهزاء تستنفر الفرسان للقتال حيث قال : " أي خزي يجللنا، وأي عار لو أن هذا الجنس من الكفار الذي لا يليق به إلا كل احتقار، والذي سقط في هاوية التعري عن كرامة الإنسان جاعلاً نفسه عبداً للشيطان قد قدر له الانتصار على شعب الله المختار"[1].

---

(1) الله ليس كذلك ص٢٣.

وترفع د/ هونكه في وجه اتهام ذاك البابا للمسلمين بأنهم استباحوا قبر المسيح حقيقة يدفنها الغرب حول نظرة المسلمين إلى المسيح عليه السلام إذ تقول : ـ إن المسلمين يوقرونه نبياً من أنبيائهم، وأن كلمات البابا عارية عن كل صواب واعتدال.

وتفطن الدكتوره هونكه إلى الغاية التي أرادها أعلام الغرب ورجال الكنيسة من وراء تشويه الإسلام وهي : أن ينقلب التصوير المشوه الممسوخ المقصود المتوارث منذ العصور الوسطى إلى حالة مرضية يرزح الغربي تحت كابوسها الخانق [(١)].

وبطبيعة تخصصها في دراسة الأدب العربي، وقراءاتها الواسعة للشعر العربي والغربي. تنقل ما طفحت به قصائد شعراء الغرب من مقت ضاري أعمي للإسلام والمسلمين. ففي قصيدة " نشيد رولاند " التي نظمها عام ١٣٠٠م شاعر الكنيسة " ريجتر بورج " والتي وصف فيها

---

(١) الله ليس كذلك ص٨.

المسلمين بأنهم " الشعب الذي لا يروى تعطشه لسفك الدماء، والذي لعنه رب السماء"، "وأنهم كفرة، وكلاب، وخنازير وفجرة، وأنهم عبدة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة، لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح رممهم في الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مراء ....

كما يطفح نشيد رولاند هذا الصادر عن ذلك الشاعر القسيس "بورج" بأشد البغضاء والحقد للمسلم، والتحريف المشوه للنبي محمد (ﷺ) عمداً واستخفافاً فيسميه "مخمت" أي صنماً ذهبياً ..، وأن المسلمين جميعاً دون استثناء، حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة حل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحاً وجسداً، وكتب عليهم الخلود في جهنم أبداً .. [1].

وفي تزييف التاريخ " بلغ الافتئات مداه في أحد كتب التاريخ الألماني المدرسية في ملأ مخيلة التلاميذ الصغار لذلك الخطر المزعوم (الإسلام) الذي على وشك العصف

([1]) الله ليس كذلك ص ٤٤ بتصرف .

بأوربا على أيدي الجحافل الهمجية، سود البشرة، واضعي سيوفهم قتلاً، واطئي بحوافر بغالهم كل كائن حي يعترض طريقهم" [١].

وهنا في إحدى جنبات الصورة القاتمة تقابلنا فرية أخرى نالت قدراً كبيراً من جهود الدكتوره هونكه لتصحيحها، وإزالة جذورها، وإضاءة مساحتها بإبراز الحقيقة الإسلامية الناصعة التي يحاول الغرب دفنها وهي ادعاء (أن الإسلام قد انتشر بالسيف والقهر والعنف).

وانطلاقاً من المقولة التي تزعم بحق أن الصورة المجسدة تؤلب في الوجدان ما يعجز عنه اللسان" فقد انطلق دعاة الحروب الصليبية إلى النفخ عبثاً في جذوة الثأر الخامدة فصوروا على الكربون ونحوه صوراً وأشكالاً بشعة حاقدة، وقام الرهبان بحمل تلك التصاوير مطوفين بها في الشوارع والطرقات، وقد ارتدوا زكائب خشنة منسوجة من شعر المعز، إمعاناً في إظهار فداحة الخطب، منادين بالويل والثبور وعظائم الأمور، فمن صورة فارس بربري يوطئ

---

(١) الله ليس كذلك ص ٤٨.

قبر المسيح سنابك فرسه، وقد راح يبول فوقه إمعانا في الامتهان، إلى صورة همجي لا يكف عن صفع المسيح وجهه،.. ثم يقوم حاملوا تلك الصور الكرتونية " بتنوير" الممعن النظر في الصورة، والذي يقشعر لما يرى، فيبين له أن ذلك الرجل الذي يرى صورته ليس سوى "محمد" الذي راح يصفح المسيح، ويدمي وجهه حتى أجهز عليه قتلاً (١).

وبالطبع أوعز أولئك الدعاة الصليبيون إلى فكر الغربي ووجدانه أن "محمداً" (ﷺ) بهذه الصورة قد غرس في نفوس جنوده ـــ وما زال ذلك دأبهم حتى اليوم ـــ إغماد سيوفهم في قلوب مخالفيهم في المعتقد، ومن هنا انتشر الإسلام بالسيف، والإكراه. وهذه مغالطة تعد بلا شك من أقسى الأحكام الظالمة المسبقة الراسخة ضد الإسلام(٢) وسيأتي رد الدكتوره هونكه على هذا الإطار من الصورة المشوهة في حينه إن شاء الله تعالى.

---

(١) الله ليس كذلك ص ٢٩.

(٢) الله ليس كذلك ص ٤١.

كما يصور الغربي الإسلام في نظرته إلى المرأة صورة تغرس في نفس الغربي كرهاً وازدراءً، ورفضاً لكل تعاليمه، وإعراضاً عن مجرد النظرة العابرة إليها حيث "اعتاد الأوربي أن يتخيل المرأة في الإسلام على أنها إحدى الزوجات الأربع القابعة خلف قضبان الحرملك في جو مختنق في حياة لاهم لها سوى الاشتغال باللاشيء، والقيل، والقال، والغيرة من ضراتها، لم يخلقن إلا لإشباع رغبات الرجل وفقاً لمزاجه، وهن كائنات بلا روح، محرومات من كافة الحقوق، ينتظرن في بيوت آبائهن كسلعة يشتريها القادر على الشراء.[1]

وهنا تصول وتجول د/هونكه في وجه تلك الدعوى الكاذبة فتتكر عليها بالتفسير والرد وتؤكد على أن الإسلام بريء من كل هذا كما سيأتي.

وهكذا جسد الغرب بدعاته، وأعلامه، ورجال كنائسه الإسلام تجسيداً مخيفاً يغرس في نفس الغربي الإحساس بالكبرياء والترفع والشعور بالتعالي والغرور والذاتي في

---

(1) الله ليس كذلك ص ٦١.

الوقت الذي ينظر فيه إلى العرب وإلى دينهم ورسالة نبيهم، وشخصه (ﷺ) نظرة دونية مزرية وهو الأمر ــ كما ذكرنا ــ الذي أجج نيران العداء بين الشرق والغرب، ومن هنا انطلقت د/هونكه في معركتها الفاصلة مع الغرب مواجهة جبروته وصلفه، بل ونقدت المسيحية ذاتها التي يقبع الغربي تحت ستارها الخانق فجاء تصويرها للإسلام في مواجهة تصور الغرب له بما يعكس جهودها ويظهر لنا عظمة شخصيتها، ولقد صرحت بوجهتها، وأعلنت عن خطتها لكشف زيوف الغرب تجاه الإسلام في مؤلفاتها حيث تقول:

" لقد أصر الغرب إصراراً على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام المتعسفة، والافتراءات الجماعية دفناً، وأهال عليها ما أهال طمساً منه لمعالمها، على الرغم من محاولاتنا المعروفة، كما يشهد بذلك كتابنا "شمس الله تسطع على الغرب" وكتابنا "قوافل عربية في رحاب القيصر"... حيث أخذنا على عاتقنا أن نخرج إلى النور أهم الإنجازات، والتأثيرات العربية ذات الفضل على العلوم والفنون في أوربا ...." [1].

([1]) الله ليس كذلك ص ٨، الابل على بلاط قيصر ص٦.

المبحث الثاني

دوافع الغرب لتشويه الإسلام [1].

لكن السؤال المطروح هنا هو لماذا يصر الغرب على تشويه الإسلام، وطمس معالمه؟

وتجيب الدكتوره هونكه عن هذا التساؤل في مواضع عدة في إطار تزييفها للصورة السائدة في الغرب عن الإسلام والمسلمين والعرب، وترجع ذلك الموقف الغربي من الشرق عموماً، والإسلام والمسلمين خصوصاً إلى عدة دوافع من أهمها:ـــ

أولاً: الآراء المسبقة، والأحكام المتعسفة التي لا يزال الغربي يرزح تحت ثقل وطئتها، ويختنق تحت كابوسها، وذلك بشيوع سوء الفهم الغربي للعرب، والنظرة الظالمة لهم، والمحاولات الدائمة المتعسفة الموروثة عن القرون الوسطى، وهي مجملة تسد الطريق على الموضوعية للنواحي الفكرية، والعقلية، والدينية، والتاريخية،

---

(1) لقد تناولت ذلك بالتفصيل في كتابي " مناهج المستشرقين في دراسة العقيدة الإسلامية" عرض ونقد لكاتب هذه السطورمن ص٣٩-٤٦ .

والاجتماعية، والحضارية التي اتسم بها العرب بفضل دينهم، ورسالة نبيهم [1].

وفي هذا الإطار تضيف سرعة إلصاق التهم الكاذبة بالمسلمين، وسطحية المعرفة لدى الغرب عن مخالفيهم المسلمين فتقول:

" إن السر في عدم رغبة الغرب في تفهم العرب، أو في عدم تفهمه لهم يكمن أولاً، وقبل كل شيء في عداء الغرب لهم، في هذا الخضم من الأحكام المتعسفة المسبقة المزيفة التي جنت على تفهم الغرب للعرب، جناية لا تجد لها مثيلاً إزاء أي شعب آخر على وجه الأرض.... [2].

ثانياً : نداء الحقد البابوي الذي أطلقه البابا أوربان الثاني في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٠٩٥م في كليرمونت [3].

(1) انظر الله ليس كذلك ص٧.

(2) الله ليس كذلك ص١٢،١٣.

(3) هي مدينة فرنسية تقع على مسافة ٢٨٨كم جنوب باريس .

لقد أتقن البابا أوربان الثاني بمهارة دعوته الحاقدة على الإسلام وأهله، ولكنه أعلنها في صورة دعائية تستهدف جمع الفرسان الغربيين تحت شعار عام رفعه دعاة الصليبية، وهو تحرير بيت المقدس أو قبر المسيح المقدس، وقد أفرطوا وركب العامة، والوعاظ المتجولين الكره الأعمى المجنون الذي انصب على أعداء الرب ــ أعداء عيسى الذين ليسوا سوى "ديدان حقيرة"، وقد أثمرت تلك الدعايات المغرضة بغضاً عارماً، وكرهاً متأججاً في نفوس الغربيين المسيحيين تجاه أعدائهم (المسلمين)، وقتلهم والتمثيل بهم، وكخبيرة بطبيعة الغرب، وقارئة لفكر الشرق تقف بنا الدكتوره هونكه على نتيجة ما فعله البابا واصفة إياه بالمتطرف حيث تقول:

"لا يمكن إطلاقاً إصلاح ما أفسد البابا أبداً ... بهذه المناقضة المغرقة في التطرف، والتي يفرض بها الرئيس الروحي الأعلى للمسيحية بقوة تفويضه الإلهي، وسلطته المقدسة على فرسان الغرب، ألا يكفوا عن حرب العالم الإسلامي أبداً، إنما يعهد إليهم بسلاح لا تلتئم جراحه الثائرة

(بالأزميل) الذي به شوهوا وجه العرب والمسلمين تشويهاً على مدى ألف عام، وبطريقة ظالمة" [1].

كما وصفته بالحاقد الماكر، ودعاياته البابوية طافحة بالزيف والكيد وأن حملته الصليبية الأولى كانت بمثابة المقدمة الموسيقية الحزينة لواحدة من كبريات مآسي العبث في تاريخ الإنسانية، لقد حفر ذلك البابا حفراً يتأبى على المحو أبداً في ذاكرة التاريخ، ولن تزال تلك الحملة الصليبية الأولى بقعة عار وخزي لاصقة بالغرب مشيرة إليه بإصبع الاتهام.... [2].

لقد سدت تلك الدوافع الطريق أمام كل معرفة موضوعية تتفق مع الواقع الحقيقي، وأحلت الهجوم والتجريح، وإلصاق الأحكام الظالمة محل التقصي الموضوعي للمعلومات، فجاءت صورة الإسلام في المجتمع الغربي مستوحاة من الأحكام المستقرة، ومغذاة على عدد لا حصر له من المغالطات، وليدة سوء الفهم، ومن الصورة

---

(1) الله ليس كذلك ص١٧.

(2) الله ليس كذلك ص٢٢، الإبل على بلاط قيصر ص٩٢، ٩٣.

الدينية الظالمة للخصم [1] ، ومن المعلومات الخاطئة المنحازة، ومن الإساءة المشوهة عمداً، وقصداً، ومن النقص في المعرفة نقصاً مبيناً في كافة الميادين تقريباً :

- كميدان العقيدة، والتصور الديني.
- وفي تصور الغرب المؤسس تلك العقيدة، والخلط بينه وبين الله .
- وفي التاريخ الإسلامي للعرب.
- وفي التعايش مع المخالفين في الدين.
- وفي وضع المرأة .
- وفي الحضارة والعلوم، والفنون، والتقنية.
- وفي السياسة المعاصرة. [2]

---

(1) إنها بذلك تؤكد على مدى التزامها بقواعد الحوار القائمة على السماحة وتدعو الغرب إليها وهي ما يؤكده الإسلام، ويدعوا إليه يقول الشيخ الإمام / محمد عبده : إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر. ثم عقب الشيخ محمد عبده على ذلك قائلاً : فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا ؟ [انظر الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص٥٣] .

(2) الله ليس كذلك ص٢٦.

وبذلك تكون د/هونكه قد نقلت إلينا تصور الغرب للإسلام، والدوافع التي وصلت بالغربي في نظرته إلى الإسلام إلى هذه الدرجة من العداء والإساءة، والتشويه، وهنا نجد أنفسنا بحاجة إلى إبراز جهودها في تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة، وعرض تصورها للإسلام بما يشهد لعظمته، ويمنحنا شهادة غربية نشهرها في وجه الغرب.

الفصل الثالث

جهود الدكتوره هونكه في رد الشبهات وتصحيح صورة الإسلام

ويشمل على ستة مباحث : ـــ

المبحث الأول : في مفهوم الإسلام.

المبحث الثاني : القرآن الكريم سر جمال العربية وباعث نهضة العرب.

المبحث الثالث : محمد والمحمديون.

المبحث الرابع : سماحة الإسلام سر انتشاره.

المبحث الخامس : الإنسان المسلم.

المبحث السادس: المرأة في الإسلام.

المبحث الأول

مفهوم الإسلام في مرآة د/هونكه

إن القارئ لفكر الدكتوره هونكه، والمتتبع لموقفها من الإسلام والمسلمين والعرب يجد أن تقديمها للصورة الحقيقية للإسلام قد أقامته على منهجين أساسيين: ـــ

المنهج الأول: رد شبهات الغرب على حدة، وتتبعها وإبطالها في حينها بالدليل القاطع.

المنهج الثاني: عقد مقارنات بين الإسلام والمسيحية، واعتمادها منطلقاً لدفع افتراءات الغرب.

والآن نرفع أمام القارئ تلك الصورة البديعة التي صورتها الدكتورة هونكة للإسلام ورفعتها في مواجهة الصورة النمطية الغربية للإسلام، والعرب والمسلمين.

وأمانة البحث تلزمنا بإبراز حقيقة هامة، وهي أنها في تناولها للإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً، ومعاملات مع العدو والصديق قد أرهقت قارئها، بسعة إطلاعها، وغزارة

فكرها، وقوة حجتها، وشمول مواجهاتها، وتعقبها لكل شبهات الغرب، وتتبعها لكل المسارب التي تسلل منها إلى الإسلام، ولذلك استوعب المنهج الأول القدر الأكبر من الدراسة.

وحتى لا يطول بنا البحث ويتشعب، في الوقت الذي يكفينا فقط أن نقدم فيه بعض النماذج التي تكشف لنا عن فكرها، وإبراز جهودها، فإننا نعمد إلى أشهر القضايا، وأقواها أثراً فيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين الشرق والغرب كما قصدت د/هونكه، كما أننا نقدم تصورها في إطار المنهج الأول، ثم نتبعه ــ إن شاء الله تعالى ــ بنماذج من منهج المقارنة. ولنبدأ ببيان مفهوم الإسلام في فكرة الدكتوره هونكه، وتصويرها لمعناه، ففي مواجهة المفهوم الغربي الخاطئ للإسلام، والتصور المغلوط للمسلمين، والثابت لدى الغرب في نظرته إلى الشرق، وذلك عندما رأى أن المسلمين ليسوا إلا عبَّاداً لمحمد، وأنهم قدموا له

القرابين البشرية قرباناً وزلفى، ولذا سموا أنفسهم "بالمحمدين" [1].

قدمت هونكه للمجتمع الغربي المفهوم الحقيقي للإسلام في مقابل المفهوم القاتم الذي تغلغل في نفوس الشعوب الغربية ... **فقالت** : إن الإسلام يعني التسليم لإرادة الله، أو التواضع، والتذلل، والخشوع، والصبر تجاه الله، والمحبوب، وأن تكون علاقة عبودية كخضوع العبد، هذه هي الأمور التي يتسم بها المؤمن" [2].

وفي موضع آخر تقول : ــ إن كلمة الإسلام تعني لغة الامتثال لقضاء الله في خضوع واستسلام [3].

والإسلام بخصائصه ومقوماته هو الباعث للشرق على النهوض والتفوق، وهو بخصائصه قد أقام للمسلمين حضارة لم يعرف في التاريخ الإنساني كله مثيلاً لها.

---

(1) الله ليس كذلك ص١١ ، ١٢ .

(2) انظر الإبل على بلاط قيصر ص٢١١.

(3) الله ليس كذلك ص٦٣، الله ليس كذلك ص١٢.

وأنه دين قد دعا العقل المسلم إلى الانفتاح، والنظرة الشاملة لكل أبعاد الكون الفسيح، ومن هنا تفوق العرب وأبدعوا، واليوم الذي تخلى فيه العرب عن قيم دينهم، ونظروا إلى الوافد الجديد، وتأثروا فيه بالاستعمار الذي جثم على صدورهم قروناً عدة، بدءاً من الأتراك العثمانيين، إلى الأوربيين، الفرنسيين، والانجليز، والإيطاليين، وهو ما جذبهم بشدة نحو الأوربة، والأمركة، والأورسة (السير وراء الروس). فتخلوا فيه عن أصالتهم، وجذورهم، وتركوا دينهم الذي كان المنطلق لنهضتهم، في ذلك اليوم سقط الغرب في هوة التقهقر، وتاهوا في مسارب الضياع بهذا جاءت عبارات هونكه في كثير من محاضراتها ومقالاتها ومؤلفاتها [1] مؤكدة على أن الإسلام هو مكمن قوة العرب، وسر ازدهارهم الحضاري ــ وسيأتي مزيد بيان في حينه إن شاء الله تعالى.

---

(1) الله ليس كذلك ص٩٤ وما بعدها .

المبحث الثاني

القرآن الكريم سر جمال العربية ، وباعث نهضة العرب

من الحقائق الثابتة التي أدركها الغرب، بكل طوائفه الفكرية والفلسفية هي أن القرآن الكريم إنما يمثل الدعامة الأساسية التي قام عليها الإسلام، وأن قوة المسلمين إنما تنطلق من استمساكهم بكتابهم، وأن له من القداسة في نفوسهم ما يدفعهم في حركة الحياة بكل أبعادها. ولذا أيقن الغرب أن تصفية الإسلام وإسقاطه ـ كما يتمنون ـ إنما تبدأ من عزل القرآن عن واقع الحياة، وذلك بمحاولات لا تهدأ لتشويهه والطعن فيه، وادعاء أن الكتاب المقدس في حياة المجتمع الغربي المسيحي لهو أرفع شأناً، وأقوم سبيلاً من كتاب المسلمين.

والناظر في خطط الاستشراق العالمي يدرك تلك الحقيقة واضحة وهي صب مطاعنهم وشبهاتهم بتركيز قوي على القرآن والسنة لأنهما المصدران الأساسيان للإسلام عقيدة وشريعة. وذلك حتى يفقد المسلم الثقة بهما وبالتالي

يسهل إخراجه من دينه [1]. وقد تنوعت أشكال، وأنماط، ومسالك اهتمامات الغرب بالقرآن الكريم ترجمة، وبحثاً، وتصنيفاً، وجمعاً للوثائق، والمؤلفات الخاصة بالقرآن كل ذلك ليس بهدف العناية به سبيلاً للتقارب مع الشرق، أو طريقاً لحوار حضاري بين الغرب والمسلمين، أو انتهاجاً لمعرفة حقيقية بالتعاليم القرآنية (عقيدة وشريعة وأخلاقاً). وإنما كانت بهدف النيل من قدسيته كما ذكرنا، على أن هذا الاهتمام لم يزد العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامي إلا مزيداً من الصراع، كما لم يزد الكراهية والعداء إلا هياجاً واشتعالاً، أفرز سيلاً متدفقاً من الأبحاث والمؤلفات الضخمة هنا وهناك قام بها مفكروا الإسلام في حوارهم مع الغرب[2].

---

(1) انظر وحي الله حقائقه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين تأليف د/ حسن ضياء الدين عتر ط الثانية ط دار الفنون للطباعة والنشر جده ص٢٩.

(2) انظر في ذلك مثلاً (القرآن والتواره والإنجيل والعلم لموريس بوكاي، ط جمعية الدعوة الإسلامية، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي للدكتور / محمد محمد أبوليله ط دار النشر للجامعات ٢٠٠٢م ، دفاع عن القرآن ضد منتقديه د/عبدالرحمن بدوي ط الدار العالمية للكتب والنشر ١٩٩٩م ، ماذا يريد الغرب من القرآن للدكتور/ عبدالراضي محمد عبدالمحسن ط ضمن سلسلة مجلة البيان ٢٠٠٦وغيرها.

وهنا تأتي الباحثة الألمانية هونكه فتسجل رأيها في القرآن الكريم لتواجه به حماقة الغرب، وترفع صورة القرآن كما شاهدتها ببصيرتها المستتيرة.

فترى أن القرآن هو الكتاب الكامل الشامل لحياة المسلم دنيا، وأخرى، وأنه لمن القداسة والأهمية في حياة الشعوب المسلمة بمكان، ولم يطلق عليه المسلمون يوماً ما. ما أطلقه النصارى على كتبهم (كتاب الكتب). إذ أنه في واقع المسلمين كتاب واحد نزل على محمد (ﷺ)، وهو غير الأناجيل[1].

وترى أن القرآن هو كلام الله المعجز ببلاغته، وسمو لغته، وأنه لا يكمل إيمان المؤمن إلا به قراءة، وتلاوة، وعملاً.

فتقول: " كان من الواجب على كل من يعتنق الإسلام عن اختيار ورغبة أن يقرأ كتاب الله، ويتلوه، وأن يكتب،

([1]) انظر الله ليس كذلك ص٧٥.

ويتكلم لغة القرآن التي هي لغة السادة الفاتحين، ولغة شعراء العرب الأقدمين"[1].

ولما كان للغة العرب في حياة (هونكه) ودراساتها من مكانة سامية، وحب عميق نراها هنا تشهد بعظمة وسمو لغة القرآن، وأنه كان السبب المباشر وراء شموخ، وعظمة لغة العرب، حتى أصبحت لغة للإدارة، والسياسة، والقانون بل لغة التجارة والمعاملات، وجمهور الناس، وهذه اللغة بها من الجمال مالا يقاوم، ومن المنطق السليم ما يسحر السامعين، فمن ذا الذي يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة، ومنطقها السليم، وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة فاندفع الناس الذين بقوا على دينهم يتعلمون اللغة العربية بشغف، حتى ماتت لغات أخرى كثيرة كالقبطية، والآرامية لغة المسيح قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتمثل مكانها لغة محمد " فقد رأت الكنيسة نفسها مجبرة على أن تترجم الإنجيل لهؤلاء المسيحيين بعد تحررهم إلى اللغة العربية.

([1]) شمس العرب تسطع على الغرب ص٣٦٧.

وهكذا تحولت من لغة قبلية في خلال مائة عامة إلى لغة عالمية [1].

وفي موضع آخر تؤكد على حقيقة لا يقر بها ولا يعترف بوجودها إلا أصحاب النقاء الفكري، والفهم الواعي، والذين تخلصوا من سيطرة الأفكار الساقطة في بحار العنصرية، والكراهية لكل فرد لا يوافق أهواءهم، فنراها تواجه الغرب المسيحي بهذه الحقيقة وهي وجوب الاعتراف بعظمة القرآن وشموله لكل مناحي الحياة الإنسانية، واهتمامه بالإنسان من كل جوانبه، وترى كذلك أن شمولية الإسلام لهذه الجوانب البدنية والروحية إنما مدارها الحقيقي هو القرآن المصدر الرباني العظيم إذ تقول :

" قد نظم الإسلام بطبيعته القيادة الدينية، وإدارة الدولة، ووحدهما في الخلفاء والسلاطين، وكذلك أتى القرآن الكتاب المقدس بالقوانين والنظم الدينية والمدنية، ونظم شئون العبادات، والحياة اليومية الدنيوية [2].

---

(1) نفس المرجع السابق والصفحة .

(2) التوجه الأوربي إلى العرب ص٢٥٢.

وتشير إلى أن التفوق الثقافي والنهوض الحضاري الذي حققه العرب حتى أنقذوا ثقافات الأمم الأخرى التي كادت أن تذوب في عالم النسيان والعفن وبعثوا فيها حياة جديدة جعلوها في متناول كل راغب عن طريق الترجمة إلى لغة لم تعرف طريق الجمود، وإنما هي اللغة الحية لغة القرآن [1]. فكل مسلم يجب عليه أن يقرأ، ويتلو القرآن بالعربية.

كما ترفع هونكه أمام عيون الغرب نور القرآن الذي أضاء الشرق بأسره يوم أن جعلوه نصب أعينهم، وأقبلوا عليه حفظاً وتلاوة بنهم، وهذا هو الفارق الجوهري بين الشرق والغرب. ففي الوقت الذي وصلت فيه نسبة الأميين من سكان الغرب في القرون (١١، ١٢، ١٩) إلى ٩٥% حتى في الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع الإمساك بالقلم لدرجة أنه عام ١٢٩١م لم يكن في دير القديس "جالينوس" من الكهنة، والرهبان من يستطيع حل الخط، بينما كان هذا كله يحدث في الغرب، كانت في الشرق آلاف مؤلفة من

---

(١) شمس العرب ص٣٧٨.

المدارس في القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات، يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون، ويقرءون مقاطع من القرآن حتى يجيدونها، ويجوِّدونها معاً بلحن جميل عن ظهر قلب، ثم يتقدمون خطوة تلو الأخرى في المبادئ لقواعد اللغة، وكان الدافع إلى كل هذا هو رغبتهم الصادقة في أن يكونوا مسلمين، لأن من واجب كل مسلم أن يقرأ القرآن، وهنا تتسع الهوة بين الشرق والغرب. فالكتاب المقدس لا يجد الناس إليه سبيلاً إذا استثنينا الكهنة.

وهكذا قدمت هونكه صورة القرآن في الشرق، وصورة الأناجيل في الغرب، وأكدت على الظلم البين الذي ألحقه الغرب بالـقرآن، وذلك بإنصافها له وللغته، وإظهار عظمته في بناء الحضارة الشرقية التي تخلف عنها الغرب قروناً طويلة، يوم أن هيمنت الكنيسة وأطفأت مصابيح العلم والفكر في الغرب. ثم **تقول**:

" وهنا ـ أي في الشرق ـ يتعلم شباب العرب الطموح القرآن، وقواعد اللغة والديانة، والخطابة، والأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والمنطق، والفلك، والرياضة ويساهم

الطلاب في المناقشات، والمناظرات، ويعيد معهم دروسهم مساعدون من طلبة الصفوف المتقدمة أو من الخريجين، وتبدوا هذه المدارس كخلايا النحل الدائبة النشاط، تخرج للجميع شهداً حلواً فيه شفاء للناس ولتقدم قادة للعلم والسياسة" [1].

---

(1) شمس العرب ص ٣٩٥.

المبحث الثالث

محمد والمحمديون في تصور د/هونكه

من مغالطات الغرب تجاه الإسلام ورسوله، وأتباعه، أن أطلقوا لفظ (المحمديون) على أتباع الديانة (المحمدية)، وأطلقوا لفظ " مخميد" على رسول الله (ﷺ)، كما أطلقوا على الإسلام مصطلح "المذهب المحمدي" وهذه الإطلاقات قصد به تشويه الإسلام، ونبيه، وإعطاء الغربي انطباعاً، يغرس فيه القناعة بأن الإسلام دين بشري من وضع محمد، وليس وحياً إلهياً.

ولقد فطنت الدكتورة هونكه إلى حيل الغرب، وأغراضه الخبيثة من وراء ذلك القصور الخاطئ المغلوط، فتتبعت تلك الألفاظ، وأظهرت مقصود الغرب من إطلاقها، وكشفت زيوفها. فناقشت هذه المغالطة، وفضحت أعلام الغرب الذين روجوا لها، وأظهرت أسبابها فأشارت إلى أن كلمة (المحمديون) قد نشرت في صحيفة يومية صدرت في أوربا بتاريخ ٦يناير ١٩٩٠م دون أن يعلق أحد على ما جاء فيها. وأن السبب وراء إطلاقها إنما هو تعبير شائع قد نقله

قبل سبعمائة عام الانجليزي " ويليام " من مدينة " سالسبرى " عن الرأي العام الشائع في عصره عن سكان إسبانيا إبان حكم المسلمين لها. وأحكم الإنجليزي (ويليام) هـذا خطتـه برسم صور تقشعر لها الأبدان للمسلمين خلف جبال البرانس في قرطبة، التي زعم أنها كانت مقر سلطان عبدة الشيطان، ومحضري أرواح الموتى والسحرة، وأصـحاب التعاويـذ، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين، وقد تربـع علـى عـرش قرطبة الصنم الذهبي (لماهومـد) وأحيانـاً يطلـق عليـه (مخميد)، وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بـشرية يـذبحها أتباعه قرباناً إليه[1].

هذه صورة محمد (ﷺ) وأتباعه في نظر هذا الغربي الحاقد، وهنا تواجهه الدكتورة هونكة متعجبة من بقاء تلـك التسمية عالقة في أذهان الغرب رغم مضي أكثر من ثلاثـة عشر قرناً على تبشير النبي محمد (ﷺ) بدعوتـه، وعلـى الرغم من أن المسلمين أنفسهم لا يسمون أنهم بالمحمـديين

---

(1) انظر الله ليس كذلك ص١٢.

وإنما بـ"المسلمين" دلالة على التسليم لله وحده، وليس إلى محمد أو غيره.

كما تشير إلى أن تلك التسمية الصادرة من الغرب للمسلمين منذ القرن التاسع عشر إنما تدل على سطحية المعرفة لدى الغرب النصراني بالمسلمين. رغم تلك المعايشة الحقيقية لهؤلاء الفاتحين قروناً عديدة، وما لمسه الغرب حيث عاش في كنفهم الإسبان، والطليان وقامت بينهم الحروب الصليبية، وأدرك الغرب منهم في حربهم وسلمهم قمة التسامح والشهامة.

ورغم ذلك كانت معرفة الغرب سطحية إلى حد كبير بطبيعة العرب والمسلمين وحضارتهم، وتاريخهم، وطباعهم، وخُلُقِهم مما يخالف خلق الغرب وطبيعته.

كما ناقشت واحداً من أكبر مؤرخي الحضارة في العصر الحديث وهو (توماس أرنولد جي توينبي) في كتابه "دراسة في التاريخ العلمي" ص٢٥ حيث سار هو الآخر وراء الزعم الغربي، والحكم القاسي على العرب، فوصفهم بأنهم غير متحضرين، وأنهم خلق غريب مستعبد من العالم

الهليني أو المتطفلين على الحضارة الهلينية الإغريقية، وأنهم "أولئك المحمديون البدائيون أقصى القول فيهم أنهم تقليد بربري جاهل زائف لديانة السريان الغريبة عنهم".

وهنا ــ تصف هونكه صنيع (توينبي) هذا بالتزييف، وأن الدافع له إلى ذلك هو مجرد العداء للاختلاف في المعتقد، وهذا دليل على سوء فهم (توينبي) رغم مكانته في الفكر، ووعيه بتاريخ الحضارة، وترد نظريته بضدها فترى أن العرب كانوا على عكس ما ارتأى بعد معاشرتهم والاختلاط بهم نجد العكس هو الصحيح....

والسر في عدم رغبة الغرب في تفهم العرب يكمن أولاً وقبل كل شيء في عداء الغرب لهم في هذا الخضم من الأحكام المتعسفة المسبقة المزيفة التي جنت على تفهم الغرب للعرب جناية لا نجد لها مثيلاً إزاء شعب آخر على وجه الأرض، .... إن العداء وحده ــ حتى وإن كان بسبب العقيدة ــ ليس كافياً لتبرير فرض العراقيل والحواجز أو الحصار أمام المعلومات الأفضل، والبحث الموضوعي الدقيق، وتحريف الحقائق التاريخية وتزييفها، ومسها،

وازدراء الخصم، وسبه سباً قبيحاً، إن العداء ... لا يمنع أن يشهد الخصم لعدوه بالاحترام والإكبار... [1].

لقد كشف لنا هذا الرد العقلي، والرؤية العلمية الدقيقة عن شخصية الدكتوره هونكة، ومنهجها القائم على الحيدة، والوعي، والنزاهة، التي يجب أن يتحلى بها الباحث والمفكر والعالم في نظرته إلى خصمه، وهو ما امتلأت به مؤلفاتها، ووضعها في مكانها اللائق، بين مفكري الغرب الذين ابتعدوا بأقلامهم عن العنصرية والتزييف للحقائق، والنظرة إلى الأمور بمنهج التحقيق العلمي السديد.

ومما يؤكد ذلك أنها انتقدت الكنيسة ذاتها في موضع آخر حيث أظهرت تلك الجناية التي ارتكبتها الكنيسة في حق نفسها، وفي حق الغرب بأسره، وذلك بتزييفها لمزاعمها تجاه رسول الإسلام (ﷺ) .

إذ تقول : " صورت الكنيسة الأوربية رسول الإسلام ساحراً كبيراً، وصورت (قرطبة) في الأندلس وطن عبادة الشيطان المتوسلين بالموتى الذين قدموا لمحمد الصنم

---

(1) الله ليس كذلك ص١٣.

الذهبي، الذي كانت تحرسه عصبة الشياطين لضحية بشرية، فبلاد الإسلام هي عالم الخرافات، والأساطير، عبدة الشيطان والسحرة المتضرعين إلى الشيطان، بلاد الأضاحي البشرية، من أجل صنم ذهبي تسهر على سلامته عصبة من الشياطين اسمه محمد" [1]، وفي موضع آخر تنقل ما وصفت به الكنيسة الكاثوليكية رسول الله (ﷺ) من أبشع الصفات، وأرذلها، حيث جعلت منه مسيحاً دجالا، ومارداً جباراً، ووثناً تقدم له القرابين البشرية كما جاء في سفر الرؤيا [2].

وبنظرة هادئة تملؤها الثقة بالنفس، والإنصاف والحيدة تدفع هونكه تلك الهرطقات الكنسية، وتبين تهافتها، حيث كشفت عن السر الدافع للكنيسة إلى هذا المنهج المتهور المخزي، والادعاء الكاذب إنما هو الخوف من الإسلام، واعتباره عدواً لدوداً لها، وهو أيضاً ما دفع

---

(1) انظر العقيدة والمعرفة للدكتوره / زيجريد هونكه ترجمة/ عمر لطفي ط دمشق سنة ١٩٨٧م ص٩٩، ١٦١، ١٦٢. والله ليس كذلك ص٤٤، هذا وإن النفس لتتكسر خجلاً أمام تلك الكلمات المتدنية حول رسول الإنسانية ﷺ، وما كان لنا أن نرددها غير أن البحث يتطلب أن نكشف الحقد الدفين في قلوب طائفة من حثالة الغرب، وأيضاً كشف الرؤية العادلة والنظرة المنصفة لدى الدكتورة هونكه في دفاعها عن رسول الله ﷺ في مواجهة تلك الهرطقة.

(2) التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام ص٣٥.

الكنيسة إلى إغلاق باب الاتصال مع الإسلام إغلاقاً كاملاً، وإلى إيقاظ نار الحقد الديني والتعصب وهو الأمر الذي أجج إثارة الحماسة العسكرية، والمشاعر الحاقدة، والضغائن المكبوته، فجاءت الحروب الصليبية.

وكثيراً ما وجهت هونكه انتقاداتها اللاذعة لتلك الحروب التي أشعل أوارها رجال الدين والبابوات، وكانت لها فلسفتها الدقيقة، ورؤيتها العميقة تجاه هذه الحروب التي أشعلتها الكنيسة ضد الكفرة (المسلمين ــ كما دأبت الكنيسة على اتهامهم بذلك) وترى أن الكنيسة بذلك قد جلبت لنفسها عوامل انهيارها، وكتبت بيدها نهايتها وبإشعالها تلك الحروب قد فتحت الكنيسة أبواباً كانت موصدة في وجه الإسلام تجاه الغرب، فلما قامت بمحاربته قد منحته فرصة كبرى للدخول إلى ديار الغرب، وتؤكد على أن الإسلام قد انتصر على دول الغرب بإنجازاته الحضارية والمدنية، وأنه أغناها بذلك، وقلب موازين الحياة لدى المواطن الغربي بشكل كامل وجذري في الوقت الذي لم يكن فيه تأثير الإسلام على المجتمع الغربي تأثيراً يذكر قبل تدخل الكنيسة

وحروبها، وبذلك تكون المسيحية قد قدمت للإسلام والعرب خدمة جليلة من حيث كانت تبتغي دحره، وهزيمته [١].

وتعود د/هونكه إلى شخص النبي (ﷺ) فتتبري لكشف زيوف الكنيسة حوله (ﷺ) مبرزة عظمته، ومدى ما أحدثه من تغيير لحياة الأمم والشعوب. ففي معرض حديثها عن عظمة الشعر العربي، والقصص الأدبي الرفيع، ومدى ما أحدثه في صياغته، وأسلوبه، وبلاغته، وعظمته، ومصداقيته من آثار بعيدة المدى في العقلية الغربية، وخاصة الأدب الألماني، والشعر بصفة خاصة، كما تشير إلى أن "غوته" الشاعر الألماني الكبير ما كان له أن يتبوأ تلك المنزلة الرفيعة لولا تأثره بشخص محمد (ﷺ).

وتضم صوتها إلى "غوته" فيما صوَّر به محمداً (ﷺ) حيث أظهره زعيماً دينياً أخرج شعبه من عبادة الأوثان، وعبادة تلك الآلهة المقيمة في البحار أو في الأجواء خلف عالمنا إلى عبادة ذلك الإله الأزلي الأبدي المحيط بكل الوجود، وبكل الكائنات،

---

(١) التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام ص٣٦.

كما أظهر (غوته) محمداً (ﷺ) بأنه ينطلق في دعوته من روحه الإيمانية المتدفقة من وحي السماء، وروح الحق، وأن محمداً قد قاد العالم إلى خالقه، بالتعرف عليه من خلال آياته الباهرة الدالة على قدرته. إن شخصية محمد الدينية كانت دائماً وأبداً مصدر جذب وتأثير في نفس كل شخص يتعرف عليه، وهو ما دفع غوته إلى الاعتراف بشخص محمد قائلاً:

وهكذا يظهر الحق جلياً
وهذا ما استطاع محمد إثباته
بمفهوم الواحد الأحد
استطاع أن ينتصر على كل العالم [1].

ولكن على رغم احترامها لشخص النبي (ﷺ) إلا أنها قد جانبها الصواب عندما وصفته **بالمقاتل**[2].

وهو وصف لا يليق، ولا يتمشى مع ما عرفته البشرية كلها على اختلاف ميولها العقدية من حياته (ﷺ) ،

---

(1) انظر التوجه الغربي إلى العرب ص٢٥٥، ٢٥٦ ، وانظر الإبل على بلاط قيصر ص٢٤٤، ٢٤٥.

(2) الإبل على بلاط قيصر ص٥٥.

بل لا يتمشى مع ما قدمته الدكتوره هونكه من جهود مضنية مبرزة تسامح الإسلام، ورحمته، وردودها القوية لفرية انتشار الإسلام بالسيف ــ كما سيأتي في حينه.

إنها على علم واطلاع بأن بعثة النبي (ﷺ) كانت رحمة للعالمين، فلم يبعث لعَّاناً، ولا سفاكاً للدماء، ولا معتدياً على أحد، بل كان يكره القتال إلا إذا كان مضطراً إليه. على أن اللافت للنظر أننا نراها في مواضع متعددة أخرى تظهر عظمة الرسالة المحمدية، وأنه (ﷺ) قد نشرها بالموعظة الحسنة والمنطق الأخاذ والنافذ إلى القلوب والعقول، والأخلاق الفاضلة.

كما أنها لم تغادر الحديث عن وصف الفروسية العربية والقادة العرب في حروبهم بالشهامة والنجدة والسماحة وهي معان تلقوها من تعاليم نبيهم، وسلوكه النبيل[1]، وما مواقف صلاح الدين الأيوبي مع الفرنجة

---

(1) التوجه الأوربي إلى العرب ص٢٤٢.

والصليبيين[1] إلا ثمرات يانعة من غرس رسول الله (ﷺ) ، وإذن لا يُسلَم لها هذا الوصف.

نعم! قد خانها التعبير السليم، الذي لا يتمشى مع رؤيتها السليمة وميولها الصادقة تجاه شخص النبي (ﷺ) حيث أعلنت موقفها من الإسلام ورسالة النبي (ﷺ)، حين قالت: " إن محمداً والإسلام شمس الله على الغرب "

وفي معرض حديثها عن المرأة [2] تسجل أن رسول الله ﷺ كان يعرف أن المرأة ستجد طريقها بجوار الرجل يوماً ما، لذا آثر أن تكون متدينة لها لباس معين حتى تقي نفسها شر النظرات، وشر كشف العورات[3]، ورجل بهذه العبقرية لا أستطيع أن أقول إلا أنه قدم للمجتمع أسمى آيات المثالية، وأرفعها، وكان جديراً أن تظل الإنسانية مدينة لهذا الرجل الذي غيَّر مجرى التاريخ برسالته العظيمة"[4].

([1]) الله ليس كذلك ص٣٤.

([2]) سيأتي الحديث عن موقفها من المرأة ودفعها لشبهات الغرب.

([3]) الله ليس كذلك ص٦١، وانظر في ذلك أيضاً شمس العرب ص٤٧٠، ٤٧١.

([4]) انظر موسوعة أبناء مصر للتعريف بالمؤلفين والكُتاب موقع على النت .

http://www.egyptsons.com/misrth Read٨٢١٥١٠html

المبحث الرابع

سماحة الإسلام سر انتشاره

وتبعاً لاتهام المسلمين بصفات تقشعر منهـا الأبـدان خلف جبال البرانس، وصفهم الغرب بالهمجية، وأن الإسلام دين عنف وقسوة، وأن العرب قد انطلقوا من مفهوم الجهاد القائم على حمل السلاح، وقهر الأمم والشعوب، وإخضاعها لهم دون رحمة أو هوادة، وهذا ما تصوره الغربـي عـن الإسلام، فانبرت الدكتوره هونكه لتصحيح هذا الكذب، ورد هذا الافتراء فقالت:

" على العكس من هذه المغالطة التي تعد بلا شك من أقسى الأحكام الظالمة المسبقة الراسخة ضد الإسلام، يثبت التاريخ لنا أن الدور الحاسم في انتشار الإسلام يرجع إلـى التسامح العربي .... واليوم وبعد انصرام ألف ومائتي عام لا يزال الغرب النصراني متمسكاً بالحكايـات المختلفـة الخرافية التي كانت الجدات يروينها، حيث زعم مختلقوهـا أن الجيوش العربية بعد موت محمـد ـ(ﷺ)ـ نـشرت

الإسلام ... بالنار وبحد السيف البتار" من الهند إلى المحيط الأطلنطي، ويلح الغرب على ذلك بكافة السبل"[1].

ثم تعقبت الدكتوره هونكه هذه الفرية فأجهزت عليها بكل أسلحتها الفكرية، وكذبتها بأدلة من القرآن الكريم، ومن تاريخ العلاقات بين الإسلام والغرب، والواقع الذي يلمسه كل غربي، وشهادات من بعض الغربيين أنفسهم .

فتقول : " لا عجب إذن أن غدا هذا الشعار" انتشار الإسلام بالنار وحد السيف البتار" كلمة سائرة على الرغم من كون ذلك كذب لا أساس له من الصحة التاريخية أو الحقيقة الواقعية" ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ تلك هي كلمة القرآن الملزمة كما ترد في الآية السادسة والخمسين بعد المائتين في سورة البقرة، فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي، وإنما بسط سلطان الله في أرضه، فكان للنصراني أن يظل نصرانياً، ولليهودي أن يظل يهودياً، كما كانوا من قبل، ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا

---

(1) الله ليس كذلك ص٤١.

شعائر دينهم، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضرراً بأحبـارهم، أو قـساوستهم، ومراجعهم، وبيعهم، وصوامعهم، وكنائسهم [1].

مفهوم الجهاد : ـ

ويساهم تحديد مفهوم الجهاد فـي تـصحيح صـورة المسلم لدى الغرب فتختار د/هونكه تعريف الباحث الألماني المسلم أحمد شميده حيث قال : الجهاد في الإسلام هو كـل سعي مبذول، وكل اجتهاد مقبول، أو كل تثبيت للإسلام في أنفسنا، حتى نتمكن في هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومي المتجدد أبداً ضد القوى الأمارة بالسوء في أنفـسنا، وفي الهيئة المحيطة بنا عالميا، فالجهاد هو المنبع الـذي لا ينقص، والذي ينهل منه المسلم مستمداً الطاقة التي تؤهلـه لتحمل مسئوليته خاضعاً لإرادة الله عن وعي ويقين...

إن الجهاد بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية للدفاع بردع كافة القوى المعادية التي تقف في وجه تحقيق

---

(1) المصدر السابق نفسه والصفحة ، شمس العرب ص٣٦٤.

ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في ديار الإسلام [1].

إذاً دفاع الإنسان عن نفسه ووطنه ودينه، مشروع للمسلم كما هو لغيره فلماذا يتهم المسلم بممارسة حقه في الدفاع عن نفسه بأنه محارب ومعتد أثيم؟؟

* ومن أدلة الواقع التي اعتمدت عليها د/هونكه في إبطال هذا الزعم أن اتباع الملل الأخرى كاليهودية والمسيحية وغيرهما، هم الذين سعو سعياً لاعتناق الإسلام، والأخذ بحضارة الفاتحين، فاتخذوا لأنفسهم أسماء عربية، وثياباً عربية، وعادات وتقاليد عربية، كما شغفوا باللغة العربية، واللسان العربي، وتزوجوا على الطريقة العربية، ونطقوا الشهادتين. لقد كانت الروعة الكامنة في أسلوب الحياة العربية، والتمدن العربي، والسمو الأخلاقي والمروءة، والجمال، وباختصار السحر الأصيل الذي تميزت به الحضارة العربية بغض النظر عن الكرم العربي،

---

(1) الله ليس كذلك ص ٤٠.

والتسامح، وسماحة النفس، كانت هذه كلها قـوة جـذب لا تقاوم. [1]

* وتقوي موقفها بعرض استياء الآبـاء الـروحيين النصارى، حتى شهد أسقف قرطبة (القارو) بقوة جذب المد الروحي العربي بصرخات تعلوها الحسرة على ما آل إليـه أمر أبناء النصرانية الذين أصبحوا لا يعرفون سـوى لغـة العرب، وقراءة كتبهم وتراثهم قائلاً : واحسرتاه، وامصيبتاه إن النصارى قد نسوا حتى لغتهم الأم، فلا تكاد تجد اليـوم واحداً في الألف يستطيع أن يدبج رسالة بسيطة باللاتينيـة السليمة، بينما العكس من ذلك لا تستطيع إحصاء عدد مـن يحسن منهم العربية، تعبيراً وكتابة، وتحبيراً، بل إن مـنهم من يقرضون الشعر بالعربية، حتى لقد حذقوا، وبذوا فـي ذلك العرب أنفسهم ... [2].

---

(1) انظر الله ليس كذلك ص٤٢، شمس العرب تسطع على الغرب ص٣٦٦.

(2) المصدر نفسه ص٤٢، ، شمس العرب ص٣٦٧، ٣٦٨.

* وهذه شهادة الفارس الفرنسي " ڤولشير الـــشارتي" يقدمها في وجه الغرب وتستدل بها د/هونكه علـــى عظمـــة الفروسية العربية حيث يقول : ها نحن الـــذين كنـــا أبنـــاء الغرب، قد صرنا شرقيين .. أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب، بعدما أفاء الله علينا، وبدّل الغرب إلى الشرق [١].

---

(١) انظر الله ليس كذلك ص٤٣ .

المبحث الخامس

الإنسان المسلم

ومن سلسلة الصور الشائهة، والتصورات الظالمة، والمصطلحات الخاطئة التي ألصقها الغرب بالمسلمين جاءت هنا تصورات أخرى ظالمة للمسلم فوصفه الغرب ـ انطلاقاً ـ من تعاليم الكنيسة ـ بصفات تصرف الغربي تماماً عن كل ما هو إسلامي، وتنسب إلى المسلم أصل الشرور في العالم، ليرسخ في الغرب شعور الكراهية للعرب والمسلمين. وهذه هي بعض لمحات من تلك الصور السائدة عن الإنسان المسلم في الغرب، وتصحيح د/هونكه لها.

الخطاء الأثيم : ـ

أسقطت الكنيسة النصرانية على المسلم صفات استوحتها من الإنجيل فخلعت على المسلم وصف الخطاء الأثيم، وأنه وارث الخطيئة الأصلية، فآدم بخطيئته هو مصدر كافة الويلات، والشرور المستشرية في هذه الدنيا،

وأن الذي لم ينل غفران الله بواسطة أي إنسان واحد فقط ألا وهو عيسى المخلص يسوع [1].

بهذا ألحت أناجيل النصارى، فاستقرت في أذهان الغرب. ولكن الدكتوره هونكه تدفع هذا الكذب صارخة في وجه الغربي "أن يطرح جانباً هذه المصطلحات الذائعة، والتصورات الشائعة، فالإسلام أساساً لا يقول بوارث "الخطيئة الأصلية"، ولا بأن أول إنسان كان أثيماً بمعنى أن الخطيئة أو الإثم ليس أصل الفطرة التي فُطر الإنسان عليها، بل إن الإثم قد يغتفر إذا تاب الإنسان توبة نصوحاً، حيث يغفر التواب الرحيم الذنوب.

كما ترد على إلحاح الأنجيل بأن الإسلام لا يرى أن آدم أصل الإثم وأنه لم ينل غفران الله. بل إن الله غفر لآدم بعد أن تاب كما تبين ذلك الآية السابعة والثلاثون من سورة البقرة ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾.

---

(1) الله ليس كذلك ص٣٧.

كما ينص القرآن في سورة السجدة (الآية التاسعة) على أن الله نفخ في الإنسان من ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ فهو إذن يحمل في ذاته الروح الإلهية، وأنه بصفته مسلم مشمول مباشرة ودونما وساطة شفيع أو نحوه بعلاقة عبوديته لله.

هكذا فالإنسان في الإسلام يحمل في ذاته ما نفخه الله فيه من روحه، وهو في الوقت نفسه عبد لله ، كفء لحمل التكليف، خليفة في الأرض [١]. وبهذا ندرك مدى فهمها لنصوص الإسلام، واعتمادها على أدلة نصية وعقلية في مواجهة الفكر الكنسي الذي يرتكز عليه الغرب.

* **المسلم جبري :ـ**

ومن الأحكام المسبقة الظالمة التي شوهت وجه الإسلام، والمسلم ادعاء أن القدر في الإسلام "جبري" بمعنى أن كل ما يقع في الكون إنما هو بقدر إجباري وليس للإنسان دخل فيه مطلقاً، "فالمسلم مُجْبَر"

---

(١) المصدر والصفحة السابقين .

إن قضية القضاء والقدر، أصيلة في عقيدة المسلم الذي يؤمن بأن كل ما يصيبه إنما هو مكتوب ومقدر صنعته يد القادر سبحانه، وليس للإنسان دخل فيه، وهو في الوقت ذاته مسئول عما يخصه من أعمال، محاسب عليها، ومن أجلها نطقت آيات الثواب والعقاب للتأكيد على حرية الإنسان، واختياره ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾[1].

أما الغرب الكنسي فإنه يرى عكس ذلك إذ صور النصراني بأنه يذعن للقدر ويتقبله بالصبر، راضياً أن الرب الرحيم مصرف الأمور. وعلى النقيض صور القدر المحمدي والمسلم بالخانع المتشائم كل التشاؤم جملة وتفصيلاً، حتى إن الإنسان لا تتاح له الفرصة مرة واحدة لتجنب الأخطار التي تهدده أبداً، وإنما عليه أن يرمي بنفسه في خضمها أعمى البصر والبصيرة [2].

---

(1) سورة الزلزلة - آية ٧ ، ٨ .

(2) الله ليس كذلك ص٣٩.

وهنا تسارع د/هونكه برد هذه الفرية، معتمدة على النصوص القرآنية والنبوية والعقل.

أما العقل فواجهت به أبناء جنسها " بأن هذا محض افتراء على الحق، بل إننا هنا نصطدم بالغلو المفرط المنحاز في تصويره للخصم، وهو نفسه الغلو الذي عهدنا من قبل مستهل القرون الوسطى. والحق أن هذا الحكم المسبق المفترى الزاعم بأن التواكل المذعن خصيصه تسيطر على المسلمين، إنما يتعارض مع روح القرآن، وتتفيه الأحاديث النبوية فهماً قاطعاً. بل إن كليهما يدعوان الإنسان إلى الاحتكام إلى إرادته الحرة للبت في الأمور، ويهيبان به أن يتبصر انطلاقاً من كونه مسئولاً، ويتضمن الإمكانات المختلفة .. ليميز بينها، وليختار اختياراً حراً بين الفضيلة والرذيلة. فإما أن يكون هداه هواه، وإما أن يسلم وجهه لمشيئة الله، وليس معنى التوكل التواكل الأعمى السلبي المذعن إذعاناً أعمى للقضاء.

وتستند في دفعها لهذا الفهم الخاطئ بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[1]. وهي تشير إلى استقلالية الإنسان، وأن كل ما يصيبه من عند الله إنما هو نفسه المتسبب فيه كما تؤكد الآية الحادية عشرة من سورة الرعد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ فالإنسان في واقع الأمر هو صانع قدره، فيما يخصه هو نفسه [2].

(1) سورة الشمس - آية ٩، ١٠ .

(2) الله ليس كذلك ص٤٠.

المبحث السادس

المرأة في الإسلام

ومن أخطر القضايا أو المسائل المتعلقة بالتشريع الإسلامي هو تصور الإسلام في نظرته إلى المرأة بصورة قبيحة، نمطية اعتاد الغرب عليها، حيث صوروا المرأة في الإسلام بأنها : ـ

- إحدى الزوجات الأربع القابعة خلف قضبان الحرملك في جو مختنق في حياة لا هم لها سوى الاشتغال باللاشيء، والقيل والقال، والغيرة من ضراتها.
- وأنها لم تخلق إلا لإشباع رغبات الرجل وفقاً لمزاجه.
- وأنها كائن بلا روح، محرومة من كافة الحقوق.
- كما أنها تنتظر في بيت أبيها كسلعة يشتريها القادر على الشراء[1].

---

(1) الله ليس كذلك ص٦١.

نقلت إلينا د/هونكه هذا التـصور المعـتم، وتلـك المفاهيم الظالمة التي قصدت إلى تعرية الإسلام مـن كـل الأخلاق والآداب الرفيعة، في نظرته إلى المرأة، حتى اتهم الغرب الإسلام بأنه يضطهدها، ويسومها الخسف كما جـاء في عنوانها الذي وضعته لمناقشة الغرب، وتصحيح صورة الإسلام في نظرته إلى المرأة، وتأتي أهمية طـرح قـضية المرأة هنا لكونها امتداداً لإثبات سماحة الإسلام ورحمتـه، وإبراز ثقافة، وطهارته مـن وصـمته بـالعنف والقـسوة والاضطهاد، وكما أشرنا قبلاً فإن د/هونكه امـرأة غربيـة أدركت مكنون النظرتين الغربية والـشرقية إلـى المـرأة، وكعادتها في الإنصاف، وتحري الدقة في الأحكام استطاعت بكل قوة علمية، وموضوعية نادرة في البحـث أن تـسكت تخرصات الغرب بشأن نظرة الإسلام إلى المـرأة وهـذه بعض النماذج من حواراتها مشفوعة بالدليل .

في بادئ الأمر سارعت د/هونكه بإبداء موقفها مـن القضية برمتها حيث برأت الإسلام من ذلك كله فقالت : ـــ

" والحق أن الإسلام بريء من كل هذا " [1].

* فأما ادعاء اضطهاد الإسلام للمرأة بجعلها إحـــدى زوجات أربع، قابعات خلف قضبان الحرملك، وهو بـــذلك ينظر إليها نظرة دونية محضة، ويمتهن كرامتها، ويصادر رأيها، ويقتل رغبتها في الانفراد بزوج يحقق لها سعادتها، ورغائبها ..الخ. فإن الدكتورة هونكه قد قدمت ردوداً قوية، بأدلة عقلية، مدعومة بنصوص القرآن والسنة،

* أما العقل فإنه يحكم بأن الإسلام عندما أباح التعدد إنما كان لحِكَمٍ وغايات تقصر عنها عقول الغرب، وتغـــشى عيونهم عن رؤيتها.

فمن هذه الحِكم التي تشير إلى عظمة الإسلام، وسمو تشريعاته. أن التعدد يعد أمثل حل لرعاية الأيامى، والثكلى، واليتامى.ولذلك أباح النبي (ﷺ) التعدد بعد قتل كثيرين مـــن المسلمين في يوم أحد، فكان ذلك علاجاً لمشكلة طرأت على المجتمع الإسلامي في عصر النبي (ﷺ) ، وهي ارتفاع عدد الثكلى واليتامى. إنها ضرورة حتميـــة اقتـــضتها ظـــروف

---

(1) نفس المصدر والصفحة .

المجتمع، على أن النبي (ﷺ) قد وضع لها ضوابط، وشروط ملزمه حتى يحقق ذلك العلاج النبوي نتائجه السليمة.

ومن هذه الشروط مسئولية الرجل في العـدل بـين الزوجات، وإلا فلا مجال للتعدد ما دام يثير الظلم، والخسف للمرأة، وهضم الحق المفروض لها قال تعالى ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾[1].

وهذه الآية تنبه المسلم إلى ضرورة تحقيق العدل قبل الإقدام على الأخذ بتلك الرخصة. ثم تؤكد الآيـة التاسـعة والعشرون بعد المئة من السورة نفسها استحالة اسـتطاعة الزوج العدل بينهن ﴿ تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ . وفي هذا بيان واضح على أن الاقتصار على زوجة واحدة هو الصورة المثلى لتحقيق ما شرع فرضاً من حسن معاملة الزوجة، وأداء حقوقها في مودة ورحمة. على

([1]) سورة النساء ـ آية ٣ .

أن تعدد الزوجات ليس القاعدة، وإنما الاستثناء. ثم إن الإسلام قد أعطى المرأة ما يمكنها من الخروج من هذا الضيق والكبت ــ على فرض وجوده ــ حيث أباح لها إمكانيتين : ــ

الأولى : أن تشترط على الزوج شروطاً عند عقد الزواج "تضمن لها حقوقها".

الثانية : أن الإسلام قد فرض لها على الزوج مهراً تأميناً لمستقبلها [1].

وهكذا جاء موقفها في هذه النقطة منطلقاً من فهم واع، وقراءة متأنية لما شرعه الإسلام، بل هو الفهم الذي درج عليه جل فقهاء الإسلام تقريباً حيث يرون أن من حق المرأة أن تطلب الطلاق من زوجها، وذلك عند وقوع الضرر المؤكد عليها، ومنه بالتأكيد إذا ضم إليها (ضرة) إذ إن طبيعة المرأة لا تقبل بحال اشتراك مثيلتها معها في زوجها بل حتى عند عدم وجود الزوجة الأخرى، فللزوجة

([1]) انظر ذلك في الله ليس كذلك ص ٦٤ ، ٦٥ بتصرف يسير .

أن ترفع أمرها إلى القاضي، إذا وقع عليها ضرر تستحيل معه العشرة.

وتأتي قضية (الخلع) مؤكدة على هذا الرأي عندما طلق النبي ﷺ زوجة ثابت بن قيس فقال له : (أقبل الحديقه، وطلقها تطليقه) [1] وفعل ذلك بعض الصحابة والخلفاء من بعده ﷺ.

وقوله تعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾ [2] يشير بوضوح إلى أن الحياة لا يمكن أن يفرضها الإسلام قسراً على امرأة لا تجد من زوجها المعروف أو جزءاً منه، فكيف يلصق الغرب بالإسلام تهمة القهر والإجبار مع هذه التعاليم التي تكرس للمرأة كافة الحرية والكرامة؟ وكيف يتهم الإسلام بأنه أول من جاء بالتعدد؟

إن ذلك محض افتراء وتضليل، فالتعدد كان قبل الإسلام موجوداً وعرفته شعوب كثيرة كالعبريين،

---

(1) أخرجه البخاري في الطلاق باب الخلع وكيف الطلاق .... برقم (٥٢٧٣) .

(2) سورة النساء ـ آية ١٩ .

والصقالية، والجرمانيين، والسكسونيين، واليهود والنصارى، كما كان التعدد موجوداً في الجاهلية قبل الإسلام بلا حدود، فأقره الإسلام وقيده بأربع زوجات، كما أن التعدد موجود حتى الآن لدى شعوب كثيرة غير إسلامية في إفريقية، والهند، والصين، واليابان وغيرها.

ولنا في هذا الإطار أن نوجه إلى الغرب سؤالاً : هل نجحت مجتمعات الغرب، وحققت للمرأة الحياة الكريمة الآمنة يوم أن نادت بالحريات، وأخذت بمبدأ المساواة بين الرجال والنساء؟ بالطبع كلا فقد تجرعت مرارة الفجور، والإباحية، والتشرد، والتفكك مما حدا بمفكريهم، وعقلائهم بالمناداة بالأخذ بنظام التعدد كما هو الحال عند المسلمين، ومن هذه البلاد انجلترا، وأمريكا، وألمانيا، وفرنسا، وغيرها.[1]

---

(1) انظر في ذلك الإسلام وبناء المجتمع تأليف د/حسن عبدالغني أبو غدوه وآخرون ط الثالثة نشر مكتبة الرشد سنة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م المملكة العربية السعودية ص١١١، ١١٢ ، ١١٣. وانظر فقه السنة للشيخ سيد سابق ١٢٢/٢ ط بيروت دار الكتب ط الثالثة ١٣٩٢هـ ، مكانة المرأة تأليف د/محمد البلتاجي ط القاهرة دار السلام ط الأولى ١٤٢٠هـ . ص١٥٧ وما بعدها، المرأة بين الفقه والقانون للدكتور/ مصطفى السباعي

وهذا ما يؤكد على مكانة الدكتوره هونكــه كإحـدى عاقلات الغرب التي تشهد بعظمة التــشريعات الإســلامية وإبراز مكانة المرأة في الإسلام.

* وأما ادعاء أن المرأة كائن بلا روح، وليس لهــا أدنى حق مع الرجل، فإن الدكتورة هونكه تبطل ذلك بأدلــة قوية من القرآن والسنة قائلة:

" إنها نظرية باطلة من أساسها، وليس في القرآن ولا السنة ما يشير إلى أن الإسلام أوصــى بهـذا. إن القــرآن الكريم بصفته الدستور الإلهي الذي ينص على التشريعات، والحدود المنظمة لكافــة المجــالات الدينيــة، والدنيويــة، الشخصية والعامة، إنما يؤكد أنه لا فرق بين الذكر والأنثى، لا في الجوهر ولا في التكريم، وساوى بينهما مساواة تامــة في كافة العبادات، وأمور العقيدة، وفــي الناحيــة الخلقيــة البحته، كما في الأمور المالية المادية الاجتماعية، بــل إن أجر المرأة مساوٍ لأجر الرجــل ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى

المكتب الإسلامي ط السادسة ١٤٠١هـ ص٧٥، ماذا عن المرأة تأليف د/ نور الدين عتر دمشق دار الفكر ط الثالثة ١٣٩٩هـ ص١٥٤.

﴿عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ (البقرة ٢٢٨) [١]. وترد الفهم الخاطئ حول قوله تعالى في نفس الآيــة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [٢] حيث يفهم الــبعض أنهــا تناقص المساواة. وتقدم فهمها بأن الآية تعنــي : أن علــى المرأة أن تطيع الرجل، ... وأن هذه الدرجة لا تعني بحال تفضيلاً خلــقياً، بمعنى سمو الرجل مكانة عن المرأة، الأمر المغاير لمعنى الطاعة، ومبررها لــدى "يهــو" و" بــولس الرسول"، والقديس توماس، ومارتن لوثر [٣].

* وهنا يأتي دور الدعوى الكاذبة ، التــي ســادت الأوساط اليهودية، والنصرانية كافة حول المــرأة ــ كمــا أشرنا قبلاً ــ حيث يرى اليهود والنصارى ــ انطلاقاً مــن

(١) الله ليس كذلك ص٦١ .

(٢) البقرة - آية ٢٨٨.

(٣) الله ليس كذلك ص٦٢.

الكتاب المقدس[1] لديهم ــ أن طاعة تعني العقاب الإلهـــي لها، لارتكابها الخطيئة الأصلية الأولى عندما غــوت آدم، وأغوته فارتكب الخطيئة بأكله من الشجرة، فأخرجه الله من الجنة، فهي إذن أصل الخطيئة.

وتدفع د/هونكه هذه الدعوى بأن المرأة في القــرآن ليست أم الخطيئة الأصلية، وليست هي التي وسوست لآدم، وإنما وسوست له الحية، كما أن الإسلام لــم يجعــل تلــك الخطيئة وراثية [2].

قلت : إنها هنا قد نسبت الوسوسة على الحية، والحق أن إبليس هو الذي أغرى آدم وحواء جميعاً بالأكــل مــن الشجرة، كما أن اللوم جاء لآدم فــي بعــض الآيــات دون الإشارة إلى حواء.

---

(1) انظر في ذلك ، سفر التكوين الإصحاح ٣-١٣-١٦، رسالة بولس الرسول إلى ثيموثاوس الاصحاح ٢/١١-١٥، وأيضاً رسالته إلى أهل أفسس الاصحاح ٥: ٢٢-٢٥ ، الإنجيل سفر التكوين حيث يزعم في الاصحاح السادس ١-٤ أن الملائكة من أبناء الرب.

(2) انظر الله ليس كذلك ص٣٧، العقيدة والمعرفة لهونكه ص٢١ ، ٢٣ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ٥٢، ٦٣ ، ٧٩، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٨٣ ، ٩٤ ، فضل العرب على أوربا لهونكه ترجمة فؤاد حسين علي ط القاهرة ١٩٦٤م ص٩٠ ، ٩١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥.

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].فالشيطان هو الذي أغواهما، فأخرجهما، وليست حواء هي السبب إذن .

ثم واصلت د/هونكه نقدها لتلك النظرية التي أوردتها بعض نصوص العهد القديم، وهي القول بالـــصراع الأول بين آدم وحواء، والذي يتحول فيما بعد إلى كراهية للمرأة لا تفتأ في التصاعد في أسفار العهد الجديد والكتابات الكنسية،

فتقول : نجد الإسلام لا يصف المرأة بأنها أصـــل الخطيئة، ولا يعرف ذلك الصراع بين الجنسين لا في الحياة

---

(1) سورة الأعراف ـ الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢.

الزوجية، ولا في الحياة العامة، بل العكس هو الصحيح، إذ يُذكر القرآن المؤمنين في سورة الروم الآية الحادية والعشرين بما جعل بين الأزواج من مودة ورحمة ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .وقبل موته أوصى محمد (ﷺ) بالنساء خيراً [١]. كما في أكثر من حديث منها " ألا واستوصوا بالنساء خيراً، وإن لنسائكم عليكم حقاً ".

كما أنه أوصى بالأمهات أكثر من وصيته بالآباء، وأن (الجنة تحت أقدام الأمهات) كما أن القرآن ألح على المسئولية الخاصة، والعطف والرقة، والرعاية تجاه البنات الصغيرات خاصة، محرماً ما كان شائعاً في الجاهلية من وأد البنات وساوى بينهن، وبين الذكور في التربية، وبين ضرورة تعلم الجنسين " طلب العلم فريضة على كل مسلم"، " النساء شقائق الرجال " [٢].

([١]) وذلك في خطبة الوداع (متفق عليه) .

([٢]) الله ليس كذلك ص ٦٤.

* وأما ادعاء الغرب بان المرأة ليست سوى سلعة يدفع الرجل ثمنها، ومرادهم بالثمن هو الصداق أو المهر الذي فرض الإسلام على الرجل مقابل تمكينه المرأة من نفسها. فترى د/هونكه أن ذلك حكم جائر أيضاً رسخ في أذهان الأوربيين نتيجة نقص المعرفة، مما يوضح مرة أخرى أن الصورة التي ترسمها المخيلة الغربية كثيراً ما تختلف عن الأصل، ثم تقول :

" ففي أوائل القرن السابع الميلادي نجد الصداق إنجازاً اجتماعياً جديراً بالتقدير فيحكم بعضهم جزافاً، بأن المرأة ليست سوى سلعة يدفع الرجل ثمنها إن الرجل يؤتي عروسه صداقها، تتسلم نصفه مقدماً، ولها وحدها الحق المطلق في التصرف في صداقها، أما النصف الآخر أو مؤخر الصداق فيتحتم عليه دفعه في حالة الطلاق، وذلك لتأمين وضعها مادياً، وذلك يقودنا إلى جوهر العلاقة بينهما".

فبينما تنقاد الزوجة لزوجها، فإنه يتحتم عليه المسئولية عنها ملتزماً بأن يصدقها مهرها اللائق بمنزلتها

الاجتماعية، لا بمكانته هو، وأن يوفر لها نفقتها، وكسوتها، وكل ما تقتضيه الحياة الزوجية، ولا شك في أن ما اصطلح عليه الأوربيون من مفاهيم مثل سيادة الرجل، وعدم المساواة، لا يمكن أن يطبق هنا بحذافيرها، وفقاً للتصور الغربي، فذلك مقياس خاطئ ، أما الأقرب إلى الصواب فهو أن الرجل والمرأة في الإسلام يتمتعان بالحقوق نفسها من حيث النوعية، وإن لم تكن تلك الحقوق هي ذاتها في كل المجالات[1].

لقد احترم العرب عالم النساء، وخصوه بفيض من العطور، وأنواع الزينة، كما قاوموا كل التيارات المعادية للمرأة، وجعلوا من منهجهم مثالاً احتذاه الغرب، ولا يملك الآن منه فكاكاً [2].

فالمرأة في الغرب كانت ــ ولا تزال ــ تسام الخسف، والذل، والهوان، والقهر بينما هي في الإسلام تحيط بها هالة من الحنان، والحب، والرأفة، والاحترام، وتلقى جواً من الرحمة، والود، وما ذلك إلا بفيض تعاليم

---

(1) الله ليس كذلك ص ٦٥ ، ٦٦ .

(2) شمس العرب ص ٤٦٨ ، ٤٧٠ ،٤٧١، ٤٧٢ ، الله ليس كذلك ص ٩٣.

الإسلام السمحة التي رفعت عن المرأة الإصر، وحررتها من قيود الرق، وأنقذتها من الدفن، والخسف والذل[1].

ونختم موقفها من قضية المرأة بصرختها المدوية ناصحة أمينة، ومحذرة فقيهة أختها في الشرق عندما سئلت في أحد المؤتمرات ما نصيحتها للمرأة العربية التي تريد طي الماضي، وخلع الحجاب؟؟

فقالت : " لا ينبغي لها أن تتخذ المرأة الأوربية، أو الأمريكية، أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بفكر عقائدي ــ مهما كان مصدره ــ لأن في ذلك تمكيناً جديداً للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها مقومات شخصيتها، وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح. اللاتي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فطرن عليها، وأن تلتمس العربية لديهن المعايير، والقيم مع متطلبات العصر الضرورية، وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة المتمثلة في كونها أم جيل الغد العربي، الذي يجب أن ينشأ عصامياً يعتمد على نفسه ...." [2].

---

(1) انظر في ذلك التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(2) الله ليس كذلك ص ٧١ ، ٧٢ .

الفصل الرابع

الإسلام وبناء الحضارة وتفنيد مزاعم الغرب

ويشمل على ثلاثة مباحث : ــ

المبحث الأول : مقومات النهوض الحضاري في الإسلام.

المبحث الثاني : فرية قذف العقلية العربية بالعقم.

المبحث الثالث : فرية وصف العرب بالهمجية، وأنهم أحرقوا مكتبة الاسكندرية.

الإسلام وبناء الحضارة : -

أما الجانب الذي نال قدراً واسعاً من اهتمام الدكتوره هونكه، وحاز على درجة كبيرة من متابعاتها الدقيقة، فهو الجانب الحضاري في الإسلام، والناظر في مؤلفاتها يجد أنها قد أفرغت جهدها في دراسته، وإبرازه من كل اتجاه، حتى ليخيل إليه أنها قد صاغت كل كتاباتها ــ تقريباً ــ لمعالجته بصورة يصعب معها الحصر الشامل لهذه المعالجة، وآية ذلك أنها وجهت إليه دراسات كاملة، للوقوف بالغرب على الصورة الحقيقية للحضارة الإسلامية، وأهم هذه الدراسات على الإطلاق كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب"، "العقيدة والمعرفة"، " التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام"، وغيرها.

إنها لا تفتأ تذكر فضل العرب على أوربا في مناسبة، وغير مناسبة لإيمانها الشديد، واعتقادها الجازم بصدق هذه الحقيقة التي ما يزال الغرب ينكرها، نافياً بجهل أو بتجاهل دور العرب الحضاري في نهضة أوربا الحديثة، بل دأب على أن يكيل إليهم التهم الكاذبة، وأن يرشقهم بوابل من

الألفاظ المشوهة. والعبارات الجارحة التي تصفهم بالعقم الفكري. على أن ضرورة البحث هنا تلزمنا ـــ وبإلحاح ـــ ببيان حقيقة هامة وهي أنها قد انطلقت في هذه القضية خاصة، وبهذا الجهد المضني لتكون دراستها بمثابة الرد الحاسم، والنقد اللاذع، لما رامه الغرب من قذف العقلية العربية بالعقم، والنيل من تفوقها، ونهضتها في شتى الميادين في الوقت الذي هجم الغرب فيه سطواً على منجزات العقلية العربية، وانتحالاً لما أفرزته من عسل مصفى أنقذت به الإنسانية كلها من أمراض الجهل المطبق، وأخرجته من ظلام الأمية إلى نور العلم والمعرفة.

ولا تزال أوربا تنهل من تلك المؤلفات الضخمة، فكل كشف جديد، وكل علم تصل إليه الإنسانية في العصر الحديث، إنما يعود الفضل فيه للعقلية العربية، ولا يعترف بذلك إلا أولوا النهى، وذوو الإنصاف والعدل من عقلاء الغرب، أما القاسطون المجحفون ذوو النظرة السوداء فإنهم يتعامون عن هذه الحقيقة فيسرقون منجزات العرب، وينسبونها لأنفسهم كما كشفت الدكتورة هونكه، وفيما يلي

نستعرض رؤيتها كاملة متجهين إلى أهم النماذج التي تكشف جهودها في هذه القضية الهامة، التي تحتاج في إبرازها إلى دراسة خاصة بها لحاجتنا إليها في إطار المحاولة لإقامة جسور التفاهم والتقارب في حوارنا مع الغرب المعاصر.

وهذه رؤيتها في المباحث التالية : ــ

المبحث الأول

مقومات النهوض الحضاري في الإسلام

لقد أرجعت الدكتوره/هونكه النهوض الحضاري، والسبق والتفوق العلمي للعرب على من سواهم إلى جملة من المقومات، وفي مقدمتها وأهمها: ـــ

أولاً : تعاليم الإسلام، ودعوته إلى العلم والمعرفة.

" لقد أوصى محمد ﷺ ، كل مؤمن رجلاً كان أو امرأة بطلب العلم، وجعل من ذلك واجباً دينياً، وكان يرى في تعمق أتباعه في دراسة المخلوقات، وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق، وكان يرى أن المعرفة تنير طريق الإيمان، وتلفت أنظارهم إلى علوم كل الشعوب، فالعلم يخدم الدين، والمعرفة من الله، وترجع إليه، لذلك فمن واجبهم أن يصلوا إليها وينالوها، أياً كان مصدرها، ولو نطق بالعلم كافر"

ولقد وعى المسلمون طلب النبي إليهم مسارعين في تحصيل العلم، إخلاصاً وشغفاً كما جاء في القرآن الكريم

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ سورة طه الآية أربع عشرة ومائة، والإسلام يشكل الحياة منذ النشأة حتى المنتهى في كافة المجالات، غير غافل عن أي من تفاصيلها، وهو نفسه الذي أصدر أولى تعاليمه إلى كل إنسان للسعي إلى طلب العلم.

إن هذه الطريقة التي شقها محمد والإسلام والمباينه تماماً لطريق النصرانية إنما مكنت العرب من ارتياد المسالك، والممالك، وتقحمها، فحققوا سبقاً أكيداً ما بين خمسة قرون إلى ستة مخلفين أوربا تلهث آنذاك وراءهم ... [1].

ثم وجهت د/هونكه نقدها اللاذع للكنيسة ورجالها، مؤكدة على أن نظرتهم كانت أضيق من سم الخياط في التعامل مع العلم والمعرفة، وأنهم بذلك قد أغلقوا عقل الغربي، وأحكموا وثاقه. فرزحت أوروبا قروناً عدة تحت انقاض التخلف والجهل.

---

(1) انظر في ذلك الله ليس كذلك ص٧٦ ، ٧٧ ، شمس العرب ص ٣٦٩، ٣٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ .

لقد أغلقت الكنيسة كل مسارب النظر والعلم، وكان بولس الرسول يتساءل مقراً " ألم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة " واقتدت أوربا بقول بولس " لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله ... والرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة".

وتساءلت هونكه " ألم تكن تعاليم الكنيسة هي التي أدانت الرغبة في طلب المزيد من العلم حتى إن آباء الكنيسة حاربوا العلم والبحث بحجة أن ذلك يجعلهم يترددون في الخطيئة، مرددين بذلك ما أكده لهم الأب " تولليان" حيث زعم أنه " بعد مجيء عيسى لا يحق لهم أن يكونوا محبي استطلاع أو أن يبحثوا في العلوم "

مفهومان مختلفان، بل عالمان منفصلان تماما حددا بهذا طريقين متناقضين للعلم، والفكر في الشرق والغرب، وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة، والمعرفة السطحية المعاصرة في أوربا [1] إن هذه القفزة

([1]) انظر في ذلك الله ليس كذلك ص ٧٨، الإبل على بلاط قيصر ص٢٦٢، شمس العرب ص٣٦٩.

السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللاشيء لهي جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني، وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة الفريدة من نوعها إنما مصدرها الإسلام الذي جعل من القبائل المتفككة شعباً عظيماً، آخت بينه العقيدة، وربطت عناصره المحبة[1].

ثانياً : يضاف إلى ذلك ما امتاز به العربي من السماحة، والمروءة ـ كما سبق بيانه ـ حيث كان في معاملة المسلمين الفاتحين لخصومهم المخالفين لهم في العقيدة أطيب الأثر في التعايش السلمي، وهو الأرض الخصبة التي نبتت عليها حضارتهم، وأتاح لهم الانصراف إلى الفكر والنظر والإبداع بديلاً عن التخريب، والتدمير حتى شهد لهم الملك الفارسي "كيروس" قائلاً "إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين" .

وتضم هونكه صوتها إليه قائلة: " ما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة

---

(1) شمس العرب ، ص ١٤٨ ، ٢٦٩ ، ٣١٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ .

من نسج الخيال تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم، وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة"[1].

نعم : إن جوهر الحضارة الإسلامية يكمن في إنسانيتها وهي تتلخص في ثلاثة أهداف أساسية : ــ

١ــ تحقيق شهادة الأمة الإسلامية مع الناس، بإقرار المعروف، وإنكار المنكر، ونشر العدل، والإيمان بالله تعالى.

٢ــ إقامة حضارة إنسانية إسلامية تليق بإنسانية الإنسان، وتنسجم مع فطرته.

٣ــ تحقيق خلافة الله للإنسان في هذا الكون [2].

ثالثاً : الأصول والثوابت التي غرسها الإسلام في أتباعه، والتي ينبغي على العالم العربي أن يتعهدها، حتى يشق طريقه إلى الأمام. ومنها : ــ

---

(١) شمس العرب ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢) الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به للدكتور/ عبدالحليم عويس ط دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة ط الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ٩٧.

أ ـ اللغة العربية فهي المفتاح الرئيسي إلى عالم الفكر الذاتي للعرب.

ب ـ الدين بصفته المحور الذي يدور حوله وجودهم، ونعني به الإسلام النقي من كل دخيل، المتفتح على العالم، الذي لا يعارض التطور العقلي.

ج ـ عودة الوعي، والرجوع إلى الهوية الذاتية، وهو ما يتطلب التنقيب عن الماضي الفكري، المدفون تحت الأنقاض تماماً، واستيعاب أسباب نشوئه، واكتماله، والخروج بالعبر، والدروس اللازمة للانطلاق للمستقبل،

وترى د/هونكه أن العرب قد برعوا في ذلك تماماً، حيث كانوا وسط حضارات تفوقهم فلم يترددوا في الأخذ عن أولئك الغرباء ما رأوه ضرورياً لبقائهم، دون أن يحاكوا محاكاة عمياء، ثم واصلوا فوقه البناء بطريقتهم الخاصة، وبالوسائل التي أتاحها لهم نبوغهم المميز، حتى غدوا أكفاء لخلق إيداع فكري جديد، قيِّم من الدرجة الأولى منتم إليهم[1].

([1]) الله ليس كذلك ص ٩٥ ، ٩٦ .

أيليق بأمة تمتاز بهذا الكم الهائل من الوعي والإدراك، ويكون لها هذا الرصيد الحضاري المتفرد، وتنطلق من هذا الزاد الإيماني العميق أن توصف عقلياً بالعقم والغباوة والتخلف؟ أو بأن أبناءها قطاع طرق، ورعاع همجيون، وقتلة كما يصفهم الغرب؟؟

المبحث الثاني

فرية قذف العقلية العربية بالعقم

بإرجاع البصر كرة أخرى إلى ما عرضنا من الصور الشائهة في الغرب للإسلام والمسلمين لنستحضر منها السيل الهادر العفن من أفواههم، بشأن القذف السافر للعقلية العربية، ورميها بالعقم ولخطورة هذا الافتراء الغربي في العصر الحديث، تستعرض هنا د/هونكه الصورة كاملة في الغرب في معرض دفاعها عن الإسلام والعرب فتقول :

" والحق أن محور الأمر، ومداره أن ذلك التصور المشوه الممسوخ المقصود المتوارث منذ القرون الوسطى لذلك العدو الكافر ـــ أي لأولئك المدعوين بأنصار ـــ محمد ـــ (ﷺ) ـــ يراد له أن ينقلب إلى كره متأصل كحالة مرضية يرزح الغرب تحت كابوسها الخانق، وبينما يقتصر علم الغربي المبتور على كل حال بهؤلاء الذين يطلق عليهم (الكفرة) على حفنة من الأنماط التقليدية المعتادة، وبينما

يكتفي الغربي بالجدل السفسطي اللاج في الخصومة والافتئات، بدلاً من التماس المعلومات الموضوعية مبدلاً كل حسنات العرب، والمسلمين التي لا شك في نسبتها إليهم إلى سلبيات، وسيئات بينما كل ذلك كذلك يسطو الغرب سطواً على إنجازاتهم العلمية، خاصة مبتكراتهم، ومخترعاتهم، فيدعيها لنفسه، ناسباً إياها لغير أصحابها من الأوربيين، فإذا أعوزته الشخصية الأوربية راح يلتمس شخصية وهمية يخترعها، ويلفق في ذلك الأساطير، ولا ينجو من هذا التجني على العرب، والمسلمين بعض أعلام الغرب النابهين المشهورين في عصرنا الحديث ، فقد راح بعضهم حتى نهاية الخمسينات من القرن العشرين يرمي العقلية العربية بأنها عقيمة كل العقم، وأن العرب مقلدون فحسب، لا يملكون موهبة الإبداع، والخلق، والابتكار، وأن كنوز المعرفة القديمة التي وقعت في أيديهم، ونجت من الإبادة والحرق البربري العربي لها، تحولت إلى الغرب عن طريقهم، فكان دورهم دور الببغاء في تكرار بعض ما يسمع

دون فقه لما يردد، أو دور ساعي البريد الذي يقتصر دوره على أداء الرسائل إلى ذويها، ومستحقيها " [1].

تفنيد الدكتورة هونكه لهذه الفرية : ــ

وبعد عرضها لهذه الصورة الغربية، انطلقت حاشدة كل أسلحتها المادية، والتاريخية، والفكرية لفضح الغرب، وإبراز زيف أحكامه المتجنية الظالمة لعقلية العرب والمسلمين، وتصحيح صورتهم فقالت : ــ " إن موضوع الساحة الخطير ليحتم ضرورة فضح تلك الأحكام المتجنية والمتعسفة، وإزالتها، وشتى المعلومات الفجة الظالمة الزائفة التي تلصق منذ قرون بالإسلام، وبمن حملوه، ودانوا به، وبلغوه كما ينبغي، وكذلك بتاريخ هذا الدين" [2].

---

(1) الله ليس كذلك ص٨ ، ٩ ، شمس العرب تسطع على الغرب ص١١. وقد نقلت هذه الفرية عن المفكر الغربي (آرثور كوستلر) في كتابه (قصة نشوء معرفتنا العالمية السراة في نعاسهم المنشور عام ١٩٥٩م حيث قال : " لم يكن العرب سوى وسطاء، حفظة، نقله، رواة للتراث، ولم يتملكوا سوى قدر ضئيل من الأصالة العلمية، والقدرة الإبداعية ص(٧٩) (الله ليس كذلك) .

(2) المصدر نفسه ص٩ .

كما تقول في موضع آخر " إن هذه النظرة الأوربية للعرب والمسلمين دليل على ضيق أفق الغربيين، وخشيتهم قول الحق، والاعتراف للعرب بفضلهم خاصة أنهم قد غيروا وجه العالم الذي نعيش فيه [1].

وترى أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثر بقوة على مجرى الأحداث العالمية، ويدين له الغرب، كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير، .... [2].

وتقول : إن في لغتنا كلمات عربية عديدة، وإننا لندين ـ والتاريخ شاهد على ذلك ـ في كثير من أسباب الحياة الحضارة للعرب، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زيَّنت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يوماً من الأيام قاتماً كالحاً باهتاً وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة، وطيبته بالعبير

---

(1) فضل العرب على أوربا تعريف / فاروق بيضون.

(2) شمس العرب ص١١ .

العابق، وأحياناً باللون الساحر وزادته صحة، وجمالاً، وأناقة، وروعة [1].

عبقرية العقل العربي الإسلامي ومآثره الحضارية:ـــ

ثم أبرزت قيمة العقل العربي ومنهجه الذي امتاز به وتفوق على العقل الهندي واليوناني " فالفكر العربي يحتفل بالواقع الحقيقي، بينما ترى الفكر الهندي يحتفل بالناحية الذاتية كل احتفال، خلافاً للفكر اليوناني الذي ينتقل طفرة من الجزئي إلى الكلي، من الحقائق المفردة إلى الفكرة المجردة، فالفكر الإغريقي لم يكن همه الحقائق الملموسة المحسوسة، وإنما وقف بحوثه على مثله العليا، وتحركت دراساته النظرية حرة طليقة من إسار التأثيرات المادية في مجال الفكر البحت [2].

لقد جد العرب في التنقيب، والبحث، وجمع ما تبقى وترجمته، وتهذيبه، وشرحه، ومراجعته، والتعليق عليه،

---

(1) شمس العرب ص٢٠.

(2) الله ليس كذلك ص٨٠.

ومواصلة البناء على الأسس القديمة مدفوعين إلى ذلك بالمقتضيات المستجدة في أمور العقيدة، والأمة، والدولة، تلك هي المأثرة الحضارية الخالدة، التي يدين العالم للعرب بالفضل فيها وللعرب فحسب. فلا الروم، ولا البيزنطيون، ولا فرق النصارى سواء الأقباط والنساطرة، أو القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح هم الذين سعوا إلى إنقاذ حضارة إغريقية هلينية[1].

كما أنهم لم يكونوا مجرد نقله لهذه الحضارة وإنما أضافوا إليها بالإضافة إلى ما سبق تصويب ما وقع الإغريق فيه من أخطاء علمية في كثير بل مئات ومئات من المسائل التي أقامها الإغريق على مجرد التخمين، فأخضعها العرب لمعايير النقد القائمة على اليقين العلمي. ومن أمثلة ذلك : ـ فساد نظرية جالينوس حول وجود ثقوب في الحجاب الحاجز بالقلب، وبيان أنها خيال محض، على يد ابن النفيس، وتصويبه إياها باكتشافه للدورة الدموية الصغيرة.

---

(1) المصدر نفسه ص٧٨.

وأيضاً خطأ نظريتي " إقليد" ، و"بطليموس" الزاعمة أن العين تسلط نورها على المرئيات بالتصويب العبقري لعالم البصريات ابن الهيثم مؤسس علم البصريات التجريبي، والذي وضع نظريات، وقوانين عديدة في علم البصريات، مقدماً لأوربا نظرية تكاد تكون متكاملة حول الأشعة [1].

وهكذا خطا العقل العربي الإسلامي خطوات واسعة على طريق النهضة الحضارية التي لم تصل أوربا إليها بعد. وفي هذا السياق سجلت د/هونكه جوانب عديدة من المنجزات الحضارية للعقلية العربية. وذلك انطلاقاً من فهم عميق لمعنى الحضارة، يختلف عما يجول بخلد كثير من الباحثين.

إذ ترى أن " الحضارة ليست منتجاً يصاغ بالنحت أو بالصب وفق قوالب، أو نماذج مقلَّبة، فلئن أخذت أية حضارة من سواها أخذاً خلاقاً مبدعاً ـ وينسحب هذا على الإغريق أنفسهم، إذا أخذوا من تراث مصر الفرعونية،

---

(1) الله ليس كذلك ص ٨١ ، ٨٢.

والشرق الأدنى ـ فإنما تلتمس ما تستطيع تشكيله وتمثله مما يلبي متطلباتها، واهتماماتها ...

ثم إن العرب قد أبدعوا حضارة متميزة الملامح، أصيلة لا يمكن أن تلتبس بغيرها، ففيها علم أصيل، لا يرضى أن يواصل هكذا ببساطة، فقد انشعب أمامه مساران فكريان ثنائيان : الإغريقي، والهندي فكان أمْيَل إلى اتخاذ طريق آخر ميزه عن الفكر الإغريقي، وعن الفكر الهندي تمييزاً ذا سمات، وخصائص فارقة ،[1].

وفي كتابها " شمس العرب"[2] تدلل على فضل الحضارة العربية على حضارة الغرب، وتذكر من مدرسة العرب أمثلة لأربع وأربعين كلمة عربية تشمل ألفاظ التحضر، وتشير إلى عام ٧٥١م عندما توسع العرب الذين استعانوا ببعض العمال الصينيين في صناعة، ورق رخيص لأول مرة من الكتان، والقطن، وبانتشار الورق نشطت الكتابة والتأليف، كما أدى هذا فيما بعد إلى اختراع فن

---

(1) الله ليس كذلك ص ٨٠ .

(2) شمس العرب ص ٤٠ .

الطباعة وهي صفحة مشرقة لتاريخ العرب المتفتحي التفكير الدائبي النشاط [1].

وتؤكد شهادتها للحضارة العربية بأنها لم تكن مستعارة من حضارة أخرى، أو تقليداً لها، وإنما هي من منجزات العقلية العربية، وأثر من عبقرية الإسلام. فتقول: إن تلك الحضارة الزاهرة التي غمرت بأشعتها أوربا عدة قرون تجعلنا نعجب أشد العجب، إذ هي لم تكن امتداداً حضارياً لبقايا حضارات غابرة، أو لهياكل حضارية محلية على قدر من الأهمية، أو أخذاً لنمط حضاري موجود، أو تقليداً ينسج على منواله المعهود، كما نعرفه في الأقطار الأخرى مهد الحضارات في الشرق ... إن العرب هم الذين أبدعوا إبداعاً يكاد يكون من العدم، هذه الروعة الحضارية الشامخة في إسبانيا، تلك الجنة الفريدة الجمال لأساتذة فن المعمار، .... إن هذا الازدهار الراقي لفن المعمار في قرطبة، وطليطلة، وغرناطة، واشبيلية قد طورته الطاقة

---

(1) شمس العرب ص ٤٦ ، ٤٧.

الخلاقة لذلك الشعب العربي، فأتت بأفضل الثمار في جميع حقول الأندلس [1].

كما أن العرب هم أساتذة فن الزراعة، وإنتاج المحاصيل المتنوعة، وتربية الأنعام بكل أشكالها وأنواعها،[2]. وكتاباتها في هذا الجانب ملأى بالأمثلة والشواهد على تفوق الحضارة العربية على أوربا.

عبقرية العقل العربي في إبداع المنهج التجريبي: —

لم تكن الحضارة العربية قاصرة على الجوانب المادية والمدنية التي استفادت منها أوربا وإنما كانت عقلية العرب خلاقة مبدعة في أهم وأخطر الميادين التي تحتاج إليها الإنسانية ألا وهو ميدان العلم والمعرفة الحديثة التي يستضئ المرء بنورها، فيطل على جنبات الكون الفسيح، ويستكنه بها مجاهيل الطبيعة التي خلقها الله فيتعرف على دروبها، وينتفع بكنوزها.

---

(1) الله ليس كذلك ص ٥٤.

(2) المصدر نفسه ص٥٥.

ترى د/هونكه أن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال، ونظموها، ورتبوها، ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، وإنما هم مؤسسوا المنهج التجريبي في شتى علوم الطبيعة كالكيمياء، والحساب والجبر، والجيولوجيا والطبيعة، وحساب المثلثات، وعلم الاجتماع، وعلم الكلام، وعلم طبقات الأرض بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات، والاختراعات الفردية، في مختلف فروع العلوم، والتي سرق أغلبها، ونسبت لآخرين قدم العرب أثمن هدية، وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم [1].

كما تؤكد د/هونكه على أن المنهج التجريبي هو نتاج العقلية العربية دون سواها، وذلك لأن المسلمين قد أعطوا للعقل قيمته، وحريته التي مكنتهم من الوعي الكامل لما حولهم حتى غدوا أساتذة لأوربا، شهدت بذلك في مواضع عدة حيث تقول:ــ " لقد تعلمت من المعلمين العرب أهمية

(1) شمس العرب ص٦٨٤ ، العقيدة والمعرفة ص ١٩ ، ١٣٣ ، ١٥٩.

تولي العقل لقيادة أمورك في حين أنك تسير وفق سلطة موجهة أشبه بالسجين في زنزانته .... ولقد كان مقدراً على الرغم من ذلك أن تزرع بذرة العلوم التجريبية العربية، وعلوم الطبيعة التجريبية في أرض البلاد الألمانية، وأوربا الغربية على وجه الخصوص، لتجد تربة خصبة لاستقبالها، مما جعلها تثمر محصولاً غنياً لا يزال العالم كله يعيش عليه حتى اليوم لم تسقط هذه البذرة في تربة بيزنطه، أو التربة اليونانية التي كانت خصبة ذات يوم، كذلك لم تسقط في شرق أوربا، وروسيا، أو الهند، والصين [1].

إن أرقام العرب، وآلاتهم، وحسابهم في المثلثات الدائرية، وبصرياتهم الدقيقة، كل ذلك أفضال عربية على الغرب ارتقت بأوربا إلى مكانة مكنتها أن تتزعم العالم في ميادين العلوم التطبيقية حتى اليوم [2].

---

(1) الإبل على بلاط قيصر ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(2) شمس العرب ص ١٦٣.

إن التأثير العربي في أوربا يشهد به من يرغب في رؤيته، ولا يغفله إلا من حجب بصره كره أرعن، أو تعصب أعمى [1].

إن كل مستشفى، مع ما فيه من ترتيبات ومختبر، كل صيدلية، ومستودع أدوية في أيامنا هذه، إنما هي في حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقرية العربية،

كما أن كل حبة من حبوب الدواء، مذهبة أو مسكَّرةً إنما هي كذلك تذكار صغير ظاهر، يذكرنا باثنين من أعظم أطباء العرب، ومعلمي بلاد الغرب [2].

كما أن العرب هم أول من استعمل التلقيح لتحسين السلالات [3].

وإلى جانب ذلك فقد وضعوا في يد العالم الأداة المتكاملة الجاهزة ألا وهي النظام العددي، والحسابي،

---

(1) شمس العرب ص ٣٣٤ .

(2) شمس العرب ص ٣٣٤ ، ٣٣٥، الله ليس كذلك ص٥٦. وتقصد بالأول ابن البيطار عميد الصيادلة في القاهرة، وبالثاني جابر بن حيان عالم الكيمياء وأشهر علماء العرب فيها.

(3) الله ليس كذلك ص ٥٥ .

ومناهجهم العلمية الطبيعية في مجال البحث التجريبي الذي من العسير تقييم دوره الفعال في التطور العلمي الأوربي[1].

وللدكتورة هونكه رؤية واقعية جديرة بالتسجيل هنا بشأن القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المنهج التجريبي لدى العرب، حيث ترى أن هذا المنهج قائم على أرضية دينية لمفهوم الطبيعة، وعلى مضمون إلهي رباني لمفهوم المادة.

بمعنى أن معطيات النص الإلهي هي الربط والتلازم بين النظرة المادية إلى الطبيعة، والمتأمل في قوانينها، وسننها، ومبادئها الدائمة التي تحكم كل مخلوق، وبين النظرة الإيمانية المتعلقة بالتوحيد، والاستدلال البرهاني على وحدانية الله، وفق قانون العلة والمعلول أو قانون السببية الذي قامت على أساسه كل معارف العلوم الطبيعية[2].

وبناءً عليه فإن نشوء العلوم الطبيعية الواقعية الخالصة، لا يكون إلا في أحضان أمة تقوم عقائدها، وأفكارها على هذا الأساس، وهم العرب الذين انطلقوا في نظرتهم إلى الكون من وحي إسلامهم.

---

(1) العقيدة والمعرفة ص١٥٨.

(2) التوجه الأوربي إلى العرب ص ٢٧٩.

المبحث الثالث

فرية وصف العرب بالهمجية، وأنهم أحرقوا مكتبة الإسكندرية

وتفنيد د/هونكه لها : ـــ

وأما رد افتراء وصفهم بالتخلف، وادعاء أنهم رعاع همجيون، ونسبة إحراق مكتبة الإسكندرية إلى قائد المسلمين إلى فتح مصر وهو عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقد جادت قريحة د/هونكه في دحضها، وتصحيح الصورة الظالمة التي جسدها الحقد الغربي، وواجهت التعصب المسيحي بأدلة دامغة تبطل زعمهم حيث تقول: ـــ

" وأما ما اتهم به قائد المسلمين عمرو بن العاص من إحراقه لمكتبة الإسكندرية، والذي يعبَّر به حتى اليوم عن صورة مفزعة للبربرية والوحشية، فقد ثبت في أكثر من مناسبة، وبعد أبحاث مستفيضة أنه كمجرد اختلاف لا أساس له من الصحة.

إن عمرو فاتح الإسكندرية هو نفسه عمرو الذي ضرب المثل الأعلى بتسامحه طوال فتوحاته، وحرم النهب والسلب، والتخريب على جنوده، وعمل ما كان غريباً على فهم الشرقيين القدماء، والمسيحيين على السواء، لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدينية المتوارثة. وهذا نص نموذج عقد الصلح الذي أبرمه عمرو مع الشعوب المنهزمة، وهو ينص على :ـــ

" ضمان الحرية لكل الرعايا المسيحيين، كهنة، ورهبانا، وراهبات، وهو يضمن لهم الحماية والأمن، أينما كانوا حسب مشيئتهم، وبالمثل يحمي كنائسهم، ومساكنهم، وأماكنهم المقدسة، وكذلك يحمي من يزور تلك الأماكن من جورجيا أو الحبشة، يعاقبة كانوا أو نساطرة، ويحمي كل من يؤمن بالنبي عيسى، كل هؤلاء يجب مراعاتهم لأن الرسول قد كرمهم في وثيقة تحمل خاتمه، نبهنا فيها أن نكون معهم رحماء، وأن نضمن لهم أمنهم" إنها صورة حية لتسامح المسلمين، وسماحة عمرو، وهي ليست بالوعود الجوفاء، فقد احترمها المسلمون نصاً، وروحاً.

بل إن د/هونكه ترفع ــ بالإضافة إلى ذلك ــ في وجه المسيحية الغربية هذه الحقيقة التي تواجه بها الغرب، وهي أن الحرائق لم يشعلها المسلمون الفاتحون وإنما هي من أعمال الإبادة المسيحية الموجهة ضد الإسلام، وأهله، وأن هذه الحقيقة قد قدمتها بعد دراسة وافية للناحية التاريخية.

إن اتهام عمر بن الخطاب ونسبة الإحراق إلى المسلمين للمكتبات ودور العلم في خلافته تصفها هونكه بالظلم، ودليل على بلادة ذهن الغرب، وتصف عمر بن الخطاب بأنه معروف بثاقب نظره، وأنه من أعظم مؤسسي الدول، وأجلهم قدراً وكفاءة، وعبقرية فكيف يتهمونه بالسذاجة، وضيق الأفق، والجهل الذي لا جهل بعده؟ وتواصل دفاعها بأن تلك الأكذوبة مناقضة للحقائق من عدة أوجه منها : ــ

١ــ أن سيرة الخليفة عمر نفسها تناقض هذا الجهل، وعدم السماحة الذين نسبتهما إليه تلك المقولة الظالمة المختلــقة، فهو نفسه أملى نص المعاهدة التي أبرمها

عمرو بن العاص مع شعوب البلاد المفتوحة ـ كما في النص السابق.

في الجهة الأخرى المعاكسة ينص العهد القديم سفر التثنية الاصحاح السابع من ٥-١٦ على الوصية التي تحمل معها صور الإبادة المسيحية.

إذ تقول : " ولكن هكذا تفعلون بهم : تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريهم، وتحرقون تماثيلهم بالنار ... وتـاكل كل الشعوب الذين "يهوه" إلهك يدفع إليك . لا تشفق عيناك عليهم "

وبالفعل قام النصارى بالتعامل مع المسلمين في حروبهم وفق هذه التعاليم بالإبادة والتدمير، فأين ذلك من سماحة العرب ونبلهم؟

٢ـ كان عمر على معرفة تامة بحرص الرسول، وحثه على طلب العلم حتى يجدَّ كل مسلم في طلب العلم ... إزاء هذه السماحة، والانفتاح العالمي للغرف من المعرفة، مهما كان مصدرها تتضح بلاهة الادعاء

المخترع للأمر بحرق الكتب، بالأدلة القاطعة، وتبخر حجج الغرب [1].

لقد قدم المسلمون أعظم منهج علمي عرفته البشرية على الإطلاق، إنه منهج البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة، وهم فيه أسبق من كل المذاهب والعقول البشرية، وهم أساتذة أوربا [2]، وسادتها في كل ميادين المعرفة، ومجالات الطبيعة، وهم أعمق وأوسع مدى من كل قرنائهم، وخلفوا وراءهم تراثاً زاخراً منسوباً إليهم، فلماذا يسطوا الغرب على منجزاتهم، ناسباً إياها لنفسه؟

وهنا تفضح د/هونكه ذلك الاعتداء الصارخ الذي قام به الغرب على مآثر العرب وحضارتهم العلمية، وسرقة علومهم، وكشوفهم فتتبعت حالات السطو الواحدة تلو الأخرى، فبدلاً من أن يقدم الغرب لهم عبارات الشكر، والثناء، ويقف بين أيديهم موقف التلميذ البار بأستاذه. إذ

---

(1) انظر هذه الفرية ورد د.هونكه عليها وإبطالها في (الله ليس كذلك من ص٧٣-٨٧) والعقيدة والمعرفة ص٢٤، ٢٦ ، الله ليس كذلك ص٣٦٣.

(2) شمس العرب ص ١٤٨، ٢٦٩، ٣١٥ ، ٣٥٤.

به يتنكر للجميل ، وبعض الأصابع التي امتدت إليه بزاد العلم والمعرفة، وينسب ما انتجته من ثمار يانعة لنفسه، ومن أمثلة ذلك:ــ

* ما نسب إلى الإيطالي " فلافيو جويا" من أمالفي أنه اخترع البوصلة عام ١٣٠٢، والثابت أن جابر بن حيان هو الذي أجرى تجاربه على البوصلة في القرن الثامن، وأن البحارة العرب هم الذين اتخذوا البوصلة عام ٨٥٤ في رحلاتهم البحرية الكبرى.

* كذلك زعموا في اختراع البارود أن "برتهولد شفارتز" من طائفة الرهبان الفرنسيسكان الذي يؤدي دور الراهب معتكفاً في ديره مملوءة جعبته بالأسرار والعجائب حتى تمكن عام ١٣٥٩ من اختراع البارود في صومعته الضيقة.

وليس الأمر كما زعموا بل إن العرب هم الذين ابدعوا في حروبهم فاخترعوا البارود، وذلك بشهادة بعض مفكري الغرب مثل "روجر باكــون" وأغلقوا كل باب يؤدي إلى بيان تقدم العرب، وسبقهم فيه ولم يصمد الغرب كثيراً

أمام الأدلة الدامغة، التي قدمتها د/هونكه لإبطال الإدعاءات الغربية أمام الإنجازات العلمية التي تفوق بها العرب وذلك تحت عنوان " النحل والانتحال : السطو على منجزات الفكر العربي وانتحالها ". حتى قالت : لقد شق على الغرب دائماً أن يعترف بالأحقية العربية في الوضع والتأليف، والابتكار، وظل حتى عهد ليس ببعيد يبذل كل طاقاته لدفع ذلك، وتفنيده[1].ووجهت دعوتها إلى الغرب أن يعترف بتفوق العرب العقلي، وأرغمته أن يتقدم بالشكر لذوي الفضل [2].

ولم تكن د/هونكه وحدها حاملة علم الشهادة والاعتراف بفضل الحضارة العربية الإسلامية، بل نرى معها جملة من العلماء الغربيين[3] أمثال "كتفليس"، ودرابر، وغوستاف لوبون، وجورج سارتون الذي يقول : " المسلمون عباقرة الشرق، لهم مأثرة عظمى على الإنسانية

---

(1) انظر الله ليس كذلك من ص٨٧- ٩٣.

(2) نفس المصدر ص٨٧.

(3) انظر في ذلك عيون التراث وذخائر التاريخ للأستاذ/ أنور الجندي ط دار الصحوة بالقاهرة ١٩٩٤م ، حضارة الإسلام تشرق من جديد له أيضاً مطبوع ضمن سلسلة على طريق الأصالة الإسلامية ط دار الأنصار بالقاهرة ص٧.

تتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم الدراسات قيمة، وأكثرها أصالة وعمقا، مستخدمين اللغة العربية، التي كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشري ... لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته معجزة العلم العربي "[١].

كما يشاركها في منهجها مواطنها المعاصر المفكر "مراد هوفمان" الذي يشهد بعظمة الحضارة العربية، ويرجع تفوقها إلى عدة أمور في مقدمتها اللغة العربية التي أصبحت عالمية وتفوقت على الحضارة الأوربية منذ القرن الرابع عشر في مجالات الاقتصاد، والثقافة، والطب، والرياضيات، والفروسية، وفي هذه المجالات دخلت اللغة العربية في اللغات الأوربية مما يؤكد تفوقها [٢].

وبهذه النماذج التي عرضناها، نكون قد وقفنا من خلالها على الجهود المشكورة التي قدمتها الدكتورة/هونكه كمحاولة جادة منها لوضع صورة حقيقية للإسلام والمسلمين

---

(١) انظر " هكذا كانوا يوم كنا " للدكتور/ حسان شمسي باشا ص٨٣، نقلاً عن علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام ص١٥١.

(٢) الإسلام كما يراه ألماني مسلم للمفكر الألماني/ مراد هوفمان نقله إلى العربية / كامل اسماعيل ط مكتبة العبيكان ط الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ص٦٦.

والعرب في الذهنية الغربية، وإبطال الصورة المشوهة التي قصد الغرب بها إسقاط الإسلام من حساباته، ودفع المسيحية أمام الغربي ليعزف عن الأولى وييمم بوجهه شطر الثانية تجسيداً حقيقياً لموقف الغربي من الشرق.

بهذه الدراسة يظهر لدينا جلياً منهج الدفاع الأول الذي التزمته د/هونكه في مواجهة الغرب كما أشرنا سلفاً ــ وهو نهج الاستقراء والتتبع لشبهات الغرب شبهة شبهة، واستحضار الصورة الشائهة كاملة، وإسقاطها بالدليل العقلي، والبرهان التاريخي والواقعي الذي لا يسع الغرب إلا التسليم بصدقه، وقوته، والاعتراف بخطأ ما قام به من تشويه للإسلام وأهله .

ويبقى معنا المنهج الثاني الذي استخلصناه من قراءتنا لفكرها وهو منهج المقارنة بين الإسلام والمسيحية، وسوف نقدمه في الصفحات التالية.

الفصل الخامس

نماذج من منهج المقارنة بين مكارم الإسلام ومخازي النصرانية

ويشمل على خمسة مباحث : ـ

المبحث الأول : بين يدي المنهج.

المبحث الثاني : نموذج الفروسية.

المبحث الثالث : العقيدة بين شمولية الإسلام، وازدواجية النصرانية.

المبحث الرابع : العلم والعلماء بين الاحتفاء الإسلامي، والاضطهاد الكنسي.

المبحث الخامس: مستقبل الإسلام، وإنقاذه للغرب.

المبحث الأول

بين يدي المنهج

ساد بين المفكرين الغربيين وخاصة غير المنصفين منهم ـ منهج المقارنة بين الإسلام والمسيحية، وبين شخص النبي (ﷺ) ، وبين عيسى عليه السلام، ولم يكن هذا المنهج مقصوداً به تعريف الغرب بالإسلام تعريفاً يرمي إلى فهمه على حقيقته، ومنح الحرية بعد ذلك لمن شاء أن يتقدم أو يتأخر عن قبوله، والدخول فيه، وإنما قصد هؤلاء بمنهجهم أن ينالوا من عقيدة الإسلام، ورسالته، وشخص نبيه (ﷺ) ازدراءً ، وتحقيراً، وتشويهاً لصورته في عيون الغرب كي يعزف عنه متجهاً إلى مسيحية الغرب، وفكر بابواتها، وقساوستها، والسير على نهج كنائسها.

" لقد كان مفهوم الأوربيين في العصور الوسطى عن العالم والإنسان، والرب شديد الارتباط بمفاهيم الكتاب المقدس، بحيث إنهم ما كانوا على استعداد لقبول صياغات جديدة للتعبير عن هذه المفاهيم، وبالتالي فإنه كلما اختلفت

تعاليم الإسلام مع تعاليم المسيحية قيل : إن الأولى زائفة بالضرورة " [1].

ومن هنا عمد المستشرقون إلى تطبيق المقاييس المسيحية على الدين الإسلامي، وعلى نبيه، فالمسيح في نظر المسيحيين هو أساس العقيدة، ولهذا تُنسب المسيحية إليه، وقد طبق المستشرقون ذلك على الإسلام، واعتبروا أن محمداً (ﷺ) اسم يعني بالنسبة للمسلمين ما يعنيه المسيح بالنسبة للمسيحيين، ولهذا أطلقوا على الإسلام المذهب المحمدي (MohaMedanism).كما سبق بيانه.

أما نسبة المسيحية إلى المسيح، فلا تعطي هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم أن المسيح ابن الله، وتتم مقارنة أخرى بين محمد والمسيح يكون المسيح فيها هو المقياس، فمحمد مزواج وشهوان، في مقابل المسيح الذي لم يتزوج، ومحمد محارب، وسياسي. أما يسوع فهو مسالم مغلوب،

---

(1) انظر الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام تأليف الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ط دار الفكر العربي سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ص٢٠٢.

ومعذب يدعو إلى محبة الأعداء ... ... وهكذا [1]. لقد كان تأثير منهج المقارنة الذي سلكه المفكرون الغربيون في تصوير الإسلام في ذهن رجل الشارع الغربي تأثيراً قوياً، فارتبطت بفهمه صورة الإسلام القبيح، وأن المسلم ما هو إلا ذاك الهمجي البربري في الوقت الذي يشخص ببصره نحو المسيح والمسيحية وهي في صورة المحبة، والسماحة ..... الخ.

ولا يخفى ما لهذا المنهج من خطر وتضليل، انعكست ــ وما زالت تنعكس ــ آثاره على ميادين العلاقة بين الشرق، والغرب، بل ويمثل إحدى العقبات الكئود على طريق الحوار، والتواصل، والعلاقات بينهما. وقد قدمت لهذا الجانب دراسة مستقلة، وناقشته في بحث آخر [2].

لقد أدركت د/هونكة خطورة ما أقدم عليه مفكروا الغرب من عقد تلك المقارنات، كاشفة عن أهدافهم الخبيثة،

---

(1) انظر في ذلك ، هموم الأمة الإسلامية للدكتور/ محمود حمدي زقزوق ط الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠١ ص١٦٢.

(2) بعنوان " مناهج المستشرقين في دراسة العقيدة الإسلامية عرض ونقد ط الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م ط مصر للخدمات العلمية بالقاهرة .

فاضحة مساربهم، فسارت في هذا المنهج حيث عقدت مقارنات ــ من جهتها بين الإسلام والنصرانية، وذلك بإبراز المكارم الإسلامية، في مقابل المخازي النصرانية. من باب قرع الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، والرد على الغرب بنفس منهجه، حتى يتسنى إسقاط مزاعمه، وتصحيح مقابلها كما استخدمت د/هونكه هذا المنهج لكونه أبعد مدى، وأعمق أثراً وأقوى حسماً في تصحيح صورة الإسلام في الغرب، وذلك لاعتماده على أدلة موضوعية، وحقائق واقعية، لا يسع الغربي معها إلا التسليم والاعتراف بسمو الإسلام، وعظمته.

إن منهج المقارنة بين عظمة الإسلام، وعارالنصرانية قد نال قدراً كبيراً من مواجهات د/هونكه للغرب، فلم تترك شاردة ولا واردة تناقضت فيها تعاليم النصرانية الوضعية في الغرب مع الإسلام إلا وكشفتها، كما لم تترك موقفاً شوه به الغرب الإسلام وأهله إلا وأظهرت فيه وجه الحقيقة الإسلامية في مواجهة أباطيل الغرب النصراني.

ولما لم يكن لنا من سبيل إلى حصر كل جوانب صورة المقارنة كما قدمتها د/هونكه فإننا نقتصر على بعضها بالقدر الذي يتضح به المنهج، ونقف من خلاله على جهودها في إبراز محاسن الإسلام ومكارمه، وإليك بعض هذه النماذج: ــ

المبحث الثاني

نموذج الفروسية

وأول جوانب المقارنة التي اخترناها هو جانب الفروسية، حيث عالجت به د/هونكة قضية اتهام الغرب للعرب بأنهم نشروا دينهم بالسيف، وأنهم بربريون، رعاع يعيشون على العنف والإرهاب[١] ـ كما سبق بيانه ـ فلجأت الدكتوره الدكتوره هونكه إلى منهج المقارنة بين الفروسية العربية والفروسية الغربية، واعترافات وشهادات بعض القادة والجنود الصليبيين أنفسهم في تعاملهم مع خصومهم، لتبرز صورة التسامح، والشهامة، والبطولة العربية النادرة، والتأكيد على النبل، والإنسانية حتى في ساحات الوغى، بما يشهد للعربي بأنه ينطلق في حربه من مفهوم الجهاد الذي لا يبدأ فيه المقاتل بعدوه، ولا يقوم على الوحشية أو الغلظة والفظاظة، وإنما على الدفاع عن النفس ورد المعتدي، وعندما تلجئه الضرورة إليه. كثيراً ما سجلت

---

(١) انظر تلك الصفات التي ألصقها الغرب بالمسلمين في (الله ليس كذلك ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٣).

تلك المشاهد، والمواقف وهي تتحدث عن عظمة الفروسية العربية، وتقارن بينها وبين مواقف الجنود الفرنجه بصورها الوحشية المروِّعة، ومواقفها المخزية [١].

* فالفارس المسلم يتحلى بالبطولة الحربية والتقوى في آن واحد [٢] وفقاً للتصور الإسلامي الجامع بين الدنيا والآخرة، ويبذل الجندي المسلم روحه رخيصه في سبيل عقيدته بينما المحارب المسيحي يفصل بين الروح والبدن، أو بين جدية العقيدة، والفرح بنعمة الحياة، فيطغى لديه جانب المادة على جانب الروح [٣].

كما كانت تتميز الفروسية الغربية بقسوة عمياء لا ترحم، يغذوها انقسام عنيف بين طوائفها [٤]. كما جاء حديثها عن الحروب الصليبية مبرزاً للصراع الدامي بين الشرق والغرب، موجهة فيه نقداً لاذعاً للقادة الصليبيين،

---

(١) انظر في ذلك كتابها الإبل على بلاط قيصر من ص ٤٤، حتى ص٥٩، ومن ص٩٥ حتى ص١٣٤.

(٢) نفسه ص٤٧.

(٣) نفسه ص ٦١.

(٤) المرجع السابق ص ٧٠.

والبابوات الحاقدين، ومؤكدة على الفظاظة المسيحية والعار الذي ألحقته بجبين الغرب أمام الشهامة العربية (١).

وهذه بعض النماذج من صورة الفروسية العربية القائمة على السماحة والأخلاق الحميدة، ومعاملة الخصم على أعلى صور النبل والشهامة، وإن اختلف معه في العقيدة : ــ

* فالسلطان الكامل ابن أخي صلاح الدين الأيوبي ينقذ حياة جيش القائد الصليبي والمبعوث البابوي الكاردينال (بلاغيوس فون ألبانو) الذي أطلق لجنوده العنان فعاثوا فساداً وقتلاً وذبحاً بين السكان العرب، حتى ضرب خيامه على مقربة من القاهرة، وعاني جيشه مجاعة كبيرة لأيام عديدة كادت تهلكه عن بكرة أبيه، لولا أن أمر السلطان الكامل بإرسال ثلاثين ألف رغيف من الخبز يومياً ولمدة أربعة أيام متتالية، إلى جانب مواد تموينية مختلفة أخرى،

---

(١) انظر التوجه الأوربي إلى العرب من ص٦٦ حتى ص٩٢، ٩٧ ، ١٣٣ . والإبل على بلاط قيصر ص ٦٧، ٦٩، ٩٧، ١٢٢، ١٢٨، الله ليس كذلك ص ٤٣.

وبذلك حفظ حياة ألد أعدائه بعد أن أصبحوا في بلاده، وتحت قبضة يده، بدلاً من أن يعاملهم بالمثل، ويقابل سوءهم بالسوء. لقد فرضت تلك السماحة، والكرم على أحد وعاظ الكنيسة (أوليفيروس) المكلف بالدعاية للحملات الصليبية أن يقدم شهادة تقدير واحترام للسلطان الكامل في رسالة وجهها إلى السلطان سنة ١٢٢١م قائلاً له : ــ

" منذ أقدم العصور لم نسمع بمثيل ذلك، جموع من الأعداد تتحلى بمثل تلك الأخلاق الكريمة تجاه أسراهم، حين أوقعنا الله بين يديك لم نر فيك ذلك الطاغية، وذلك الحاكم المستبد كما توقعنا، وإنما رأينا فيك أبا بصنائعك الجميلة، وأياديك البيضاء، وكنت لنا عونا، ومنقذاً من كل الأخطار .... لا أحد يجرؤ على الشك بأن تلك الأخلاق النبيلة، واللطف والرحمة والشفقة هي هبة الله لك، أولئك الرجال الذين قتلنا آباءهم، وأمهاتهم وأبناءهم، وبناتهم، وإخوتهم، وأخواتهم شرَّ قتلة، وجلبنا لهم اللوعة والحرقة، كانوا هم الذين أقروا عيوننا، وأنعشونا، وأحيونا بطعامهم، وشرابهم،

بعد أن شارفنا على الموت جوعاً، وغمرونا بعد ذلك كله بجميل صنائعهم، وقد كنا تحت سيطرتهم، وفي قبضتهم [١].

* كما دفعت هونكه في وجه اتهام الحكام المسلمين، وقادتهم بانتهاك المقدسات الدينية المسيحية فأبطلته تماماً مستثنية موقف الحاكم بأمر الله الفاطمي (١٩٦٦ـ ١٠٢١م) من تخريب كنيسة القيامة، رافعة إلى الصورة. قيام أمه بمباشرة ترميمها بنفسها وإعادة بنائها.

كما أشارت إلى موقف أسبق للخليفة هارون الرشيد الذي تولى الخلافة من سنة (٧٨٦ إلى ٨٠٩) والذي عهد شخصياً إلى القيصر الألماني (كارل) ببسط حمايته للكنيسة ذاتها، وسلم بطريركها الأكبر مفاتيح البقاع المقدسة، مما أسهم في خلق جو تسوده السماحة [٢].

* وهذه شهادة يتسلمها الأسقف (اجتاتيوس) في بيزنطه من أخيه الرومي البطريرك (تيودوسيوس) من بيت

---

(١) التوجه الأوربي إلى العرب ص٩٧ ، ٩٨ ، الإبل على بلاط قيصر ص٩٧، الله ليس كذلك ص٣٤ .

(٢) الله ليس كذلك ص ٢٠.

المقدس بعد مضي مائة عام على حادثة كنيسة القيامة. إذ يقول فيها : " إن العرب هنا، هم رؤساؤنا الحكام، وهم لا يحاربون النصرانية، بل على العكس من ذلك يحمونها، ويذودون عنها، ويوقرون قساوستنا، ورهباننا، ويجلون قديسينا [1].

* ومثلها يكتب بطريرك بيت المقدسي في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب قائلاً: " إنهم يمتازون بالعدل، ولا يظلموننا البته، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف " [2].

* وهذا هو صلاح الدين الأيوبي يعطي أنموذجاً فذاً للشهامة والسماحة التي تحلى بها قادة المسلمين، وعليها تربى جنودهم حينما حرر القدس بعد ٨٨ سنة من سيطرة الفرنجة أعطى فرسانة أوامره الصريحة ـ رغم تصرف الفرنجة المخزى ـ بالحفاظ على سلامة سكان المدينة المسيحيين، كما أعطى الأمان لمن أراد الخروج مع الجيش

---

(1) المرجع السابق ص٢٠.

(2) شمس العرب تسطع على الغرب ص٣٦٤.

انسحاباً حراً وحماية مسلحة " ... وحينما رجاه أخوه أن يعطي الحرية لألف شخص من سكان المدينة المسيحيين بلا جزية استجاب له، وأطلق ـ إضافة لذلك ـ سراح خمسة عشر ألف شخص من المسنين مجاناً ، كما عامل الأسرى بكل احترام، ونبل ، وأطلق سراح ملك القدس (غي دو لوزينيان) حين وقع في الأسر[1].

وإذا كانت هذه قطرات من بحر السماحة ، وغيض من فيض الرحمة التي كانت لا تفارق جنود المسلمين مع خصومهم الفرنجه، ـ وذلك باعتراف وشهادات قادتهم ـ كما رأينا ـ فهل قابلوها بمثلها أو بسورة منها؟

هنا تجيب د/هونكة فأخرست الغرب الصليبي بعرض سلسلة من صور الخسة والدناءة، والخزي والعار الذي لطخ وجه الغرب المسيحي كله. وهذه نماذج منها:ـ

* تقول : عندما اقتحم الصليبيون بيت المقدس، جرفت حماستهم كل السدود، وانطلقوا سيلاً بشعاً بربرياً يأتي على الأخضر واليابس، ونذروا صيامهم ثلاثين يوماً

---

(١) التوجه الأوربي إلى العرب من ص٩٩ إلى ص١٠٢.

حماسة متعصبة، فانطلق لذلك سفاكوا الدماء السفاحين من فرسان (الفرنجة) من فرنسيس، ونورمان، وجموعهم التي انحدرت في طرقات بيت المقدس تحصد الأرواح حصداً، لا تقع على إنسان إلا قتلته، أو ذبحته فجندلته، رجالاً ونساءً، وشيوخاً، وولدانا، وتذكر مصادرنا الغربية ذاتها أن ذلك الحصاد الوحشي المريع بلغ عشرة آلاف ذبيحاً ...حتى كان البطريرك نفسه يعدو في زقاق بيت المقدسة، وسيفه يقطر دما، حاصراً به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة، وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصاً من الدماء اللاصقة بها، مردداً كلمات المزمور التالي : " **يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس حقاً إن للصديق مكافأة وإن في الأرض إلهاً يقضي**" [١].

ثم أخذ في أداء القداس قائلاً: **إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضى به الرب** [٢].

---

(١) المزمور ٥٨ : ١٠ ، ١١ .

(٢) الله ليس كذلك ص ٢١ ، ٢٢ .

* كما أصدر كبير وعاظ الحروب الصليبية (برنارد كليرفوكس) أمره إلى المحاربين الصليبيين (إما التنصير، وإما الإبادة)[١]، حتى تحول الميدان الذي يتحلق قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، تحت زحف الفرنجة المدمر المجنون إلى حمام دماء خاض فيه مهاجمو النصارى حتى الكعبين مواصلين الإجهاز على المسلمين [٢].

* كما كانت مواقف القادة الفرنجة على عكس مواقف قادة المسلمين تماماً إذ لم يعرفوا معنى للالتزام الخلقي تجاه كلمة الشرف التي يعطونها لغير النصراني [٣].

" فالملك ريتشارد قلب الأسد (١١٥٧-١١٩٩م) الذي أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنه، إذا هو فجأة منقلب المزاج فيأمر بذبحهم جميعاً [٤].

---

(١) الله ليس كذلك ص٢٥ .

(٢) الله ليس كذلك ص ٢٣ .

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٣٥.

(٤) الله ليس كذلك ص٣٤، الإبل على بلاط قيصر ص١٠٠.

وفي هذه المرة أيضاً رفض صلاح الدين الأيوبي تطبيق مبدأ العين بالعين، والسن بالسن بالنسبة للأسرى الذين كانوا بين يديه [1].

وهكذا استطاعت د/هونكه بعرض الصورتين في لوحة واحدة أن تكشف عن وجه القبح والخسة التي ظهرت به الفروسية النصرانية، والشهامة والتسامح والرحمة التي حملها فرسان العرب فأين الثرى من الثريا؟ وكيف بعد ذلك يسوغ للغرب أن يتهم الإسلام بالعنف، وفرسانه بالوحشية؟ إنها وصمة عار في جبين الغرب النصراني، وتسعفنا د/هونكه في ختام موقفها من هذه القضية بالجواب قائلة :

" أجل لقد كانت السماحة العربية، والروح العربي، وأسلوب الحياة العربي، مما استحوذ على نصارى اسبانيا، وليس كما يزعم المبطلون زوراً عظيماً، وبهتاناً عنيداً أثيماً، بأنهم أرغموا على الإسلام خشية السيف البتار، والحريق بالنار، على أن كل ذلك مما تحلى به العرب، والذي يعد

---

(1) الله ليس كذلك ص١٠١.

خصيصة فارقة مميزة للعرف العربي الموصي بالسماحة التي ينص عليها الإسلام [1].

وهكذا أنصفت الدكتورة هونكه الإسلام والمسلمين والعرب خاصة في جانب العلاقات واللقاءات العسكرية، لتشهد بعظمة الفروسية الإسلامية، طارحة عن صورة المحارب المسلم كل غبار، وتشويه ألحقه به خصومه بأدلة لا تقبل المناقشة، وفكر عميق، ورؤية علمية تضم صاحبتها إلى مصاف العظماء في تاريخ الفكر بين الشرق والغرب، كما يكفينا هذا الإنصاف مؤنة الحوار مع مفكري الغرب، ويدفع عن ديننا صور التشويه.

---

(1) الله ليس كذلك ص٤٤ ، شمس العرب ص٥٤٠، ٥٤١.

المبحث الثالث

ثانياً:العقيدة بين شمولية الإسلام وازدواجية النصرانية:-

وفي هذا الجانب فتحت الدكتورة هونكه جرحاً غائراً ترك آثاراً بعيدة المدى على طبيعة العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامي وخاصة في ناحية العقيدة

فأظهرت عظمة الإسلام، وسمو تعاليمه وتشريعاته في وجه التناقض النصراني والمخازي الكنسية [1].

* فالإسلام قد تفوق بما يحمل بين تعاليمه من الاهتمام الكامل، والشمولية الواقعية للثنائية، بمعنى التوازن بين الديني والدنيوي، الروحي والمادي والجمع بين ما هو إلهي روحي، وبين ما هو مادي دنيوي، بين طقوس وشعائر الدين، وبين الواجبات والمهام الدنيوية، بين الحب الإلهي والحب الحسي.

وبهذه الشمولية الدينية والعقدية التي استقرت في قلب المسلم انطلق في مسارب الحياة عابداً، عالماً، عاملاً،

---

(1) انظر في ذلك الإبل على بلاط قيصر ص ٢٤١ ، التوجه الأوربي إلى العرب ص٢٤٩.

ومجاهداً، جامعاً بين الإيمان بالله الواحد، وبين الإيمان بالكون، والطبيعة التي هي صنع الله تعالى .. إن الاهتمام بالجانب الروحي والإيمان بأنه الباعث والدافع إلى الجانب المادي كان ذلك مصدر الرقي الاجتماعي، وسر تفوق العرب. وهنا **تقول** :

" لم يشكل ذلك الفرق بين القدسي الديني، والعادي الدنيوي في يوم من الأيام مشكلة لدى الإسلام الصحيح، فقد نظم الإسلام بطبيعته القيادة الدينية، وإدارة الدولة،

وكذلك أتى القرآن الكتاب المقدس، بالقوانين، والنظم الدينية، والمدنية، ونظم شئون العبادات، والحياة اليومية الدنيوية.

وهنا نرى كيف أن الدين يتغلغل في أعماق كل أشكال الحياة، ولأن المسلم لا يفصل العقل عن الجسد، ولأنه حيث تولى على سطح هذه البسيطة فثمَّ وجه الله، فإننا نراه لا يفرق كذلك بين الجهاد والورع الصوفي، كما رأينا ذلك لدى الفرسان العرب المجاهدين في سبيل دينهم، ومعتقداتهم، وكذلك فإن المسلم لا يرى تعارضاً بين تلك الروحانية

الرفيعة، وبين الاستمتاع بملاذ الحياة، وأطايبها، وزينتها، لذا كان الإسلام دائماً أقل عرضة للوقوع في تلك التيارات المادية، وفي تلك الطرق الملتوية للعقلية الإلحادية المتطرفة من عالم الغرب المسيحي الذي كان يتنقل دائماً بين النقيض، ونقيضه " [1].

كما أن الإسلام " لا يعرف وسيطاً بين العبد والرب، ولم يكن لديه طبقة من الكهنة ولا تنظيمات، وسلطات عليا مشرفة. وعلى العموم فإن مجال حرية الرأي كان أوسع [2].

* **أما النصرانية** فقد غرست في وجدان المجتمع الغربي، ومشاعره مبدأ مدمراً للمجتمع بأسره وهو : أن حب الحياة عداوة لله ، وأن من أحب الحياة لا بد وأن يكون عدواً لله، وهو عين السقوط الفكري، والانهيار السلوكي، والأخلاقي في تلك المجتمعات. إن هذا المبدأ هو في الحقيقة موجِّه كنسي طغى على الفروسية الغربية والسلوك والشعور النفسي لدى الغرب عموماً. إنها الثنائية في العقيدة المسيحية

---

(1) التوجه الأوربي إلى العرب ص ٢٥٢.

(2) شمس العرب ص ٣٧٣.

قد قسَّمت كل الوجود، والواقع إلى سماء وأرض، إلى ديني ودنيوي، إلى روح ناجيه، وجسدٍ دنئ فاسد [1].

ويشير إلى مبدأ الازدواجية الكنسي هذا قول "فالترفون دِرفايده" :

إن الـــشرف والخيـــر علـــى الأرض
لا تجمتع أبداً مع رحمة الله في قلب واحد

وقول "فرايدانك" : " كيف نحافظ على حب الله والعالم " [2].

ولهذا المبدأ استسلم الغربي وفي مقدمته علماؤه الذين رأوا استحالة إصلاح هذا الانقسام الذي أملته النصرانية على حياة الغربي الذي بدا له أن الوجود الحقيقي غير ممكن ما لم يضرب المرء بالحياة الدنيا عرض الحائط، فسقط الغربي إذاً ضحية التيارات المادية الإلحادية المتطرفة، والازدواجية المفرطة، والفجوة الواضحة بين ما هو إلهي ديني، وما هو مادي دنيوي مقدماً الأولى على الآخرة فحل

---

(1) انظر الإبل على بلاط قيصر ص ٢٤١، التوجه الأوربي إلى العرب ص ٢٥١.

(2) التوجه الأوربي ص ٢٤٩، ٢٥٠ ، الإبل على بلاط قيصر ص ٢٣٩.

الجهل محل العلم، وقيدت أغلال العقل فورث الغرب عن النصرانية الكنسية ميراث التخلف والجهل، وكساد العلوم وإهمالها، والانتقال من النقيض إلى نقيضه (١).

بينما كان إعمال العقل في الجوانب المادية في الإسلام سر النهوض، والتقدم العلمي لدى العرب فعلى المجتمع الغربي أن يحذو حذوهم.

---

(١) انظر ذلك في التوجه الأوربي إلى العرب ص ٢٥٢ ، الإبل على بلاط قيصر ص ٢٤١.

المبحث الرابع

العلم والعلماء بين الاحتفاء الإسلامي ، والاضطهاد الكنسي

قدمت الدكتوره/هونكه في معرض نقدها لادعاءات الغرب تجاه الإسلام والمسلمين صورة أخرى لمنهج المقارنة عند حديثها عن العلم والعلماء في منظور الإسلام وإبراز مآثر العبقرية العربية ، وتفوقها على الغرب، وقد طال حديثنا هناك فلنقتصر هنا على بعض أقوالها في إبراز صورة المقارنة.

* أما الإسلام ، فلا يخفي، ما في تعاليمه ونصوصه من الحث على العلم والاحتفاء بالعلماء، ومنها انطلق العرب إلى بناء الحضارات، كما سبقت الإشارة إليه، **تقول :**

لا الروم ولا البيزنطيون، ولا فرق النصارى هم الذين سعوا إلى إنقاذ حضارة إغريقية كان بعضها قد أبيد على أيدي متحمسي النصارى النشيطين في مهاجمة العلوم، وأمسى بعضها فريسة الإهمال، موشكاً على الاندثار للأبد.

لكن العرب هم الذين نقبوا عن تلك الكنوز، وبحثوا عنها، واستخرجوها من بطون الأقبية المنهارة [١]. ثم تتساءل : ألم تحظ العلوم النظرية بتشجيع العرب ؟؟

وتجيب على ذلك بأن العرب تفوقوا فأبدعوا حضارة متميزة الملامح أصيلة لا يمكن أن تلتبس بغيرها. ففيها علم أصيل [٢].

كما تميزت خطا الغرب بثباتها اليقيني العلمي، فقد سلكوا نهجاً وعراً صعوداً من أسفل الدَّرج في تسلسل تدريجي يتغلغل دنيا الحقائق العلمية كل منها على حدة : المنهج التجريبي القائم على الرصد والملاحظة دون ملل أو كلل، والقياس والمعادلات، والحلول الرياضية، والترقي في صبر وكبد من الخاص إلى العام [٣].

... حقاً إن انجازات علماء العرب من أطباء، وكيميائيين، ورياضيين وفلكيين، ومخترعاتهم الفنية، التي

---

(١) الله ليس كذلك . ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) الله ليس كذلك . ص ٨٠.

(٣) الله ليس كذلك . ص ٨١ .

وصلت إلى أوربا إبان إحكام آباء الكنيسة قبضتهم عليها ليزداد تخلفها من سيء إلى أسوأ، كل ذلك هطل على أوربا كالغيث على الأرض الميتة فأحياها قرونا...[1].

* **أما موقف الكنيسة** في مقابل موقف الإسلام من العلم، فقد فاق كل حدود المنع والتحريم، والملاحقة، والاضطهاد بكل ما تحمله الكلمات من معنى لكل من تسول له نفسه مجرد الفكر في أي مسألة عدا ما تخوله الكنيسة له، وبات أمر النظر في الكتب، وقراءتها مستحيلاً بعد أن كانت في الأديرة تثبت بالسلاسل، بل ذهب رجال الدين النصارى آنذاك إلى أن طلب العلم والمعرفة بعدما أنزل الإنجيل تجديف وكفر بالله، مثلما زعم من قبل "ترتوليان" ، " وأوغسطين" اللذان لعنا حب الاستطلاع أو الفضول المريض" ، واصفين إياه بأنه "واحدة من أخطر صور الوسوسة والضلال" مما يسلم الفضولي إلى الملاحقة والتعذيب[2].

---

(1) الله ليس كذلك . ص ٨٢.

(2) الله ليس كذلك . ص ٥٥.

وهنا تساءلت د/هونكه إلى المؤرخين الذين احتفوا واحتفلوا بانتصار القيم النصرانية، وكرامة الإنسان في الصراع المفترض أنه تم بين العالمين الإسلامي والغربي، كم دمعة ذرفتها المرأة كل يوم مستذلة مستضعفة، وقد حملتها النصرانية وزر الخطيئة الأصلية، وجعلتها أم المعصية، وألزمتها الخضوع للرجل سيدها، فصارت هدفاً لصفعاته على امتداد خمسة عشر قرناً من الدموع؟

كم ألفاً من النساء أحرقتهم الكنيسة أحياءً على أعين الملأ فوق كومة الخشب المنصوبة للحرق بزعم أنهن ساحرات؟ بل من يستطيع حتى يومنا هذا أن يحدد عدد المؤمنين والمؤمنات ممن تعمقوا البحث في الدين، وانتهوا إلى ما اطمئنوا إليه من يقين، فطوردوا وأوذوا أو قتلوا؟ وقل مثل ذلك فيمن قتل من الدارسين، والعلماء الذين نبهوا إلى ما في الأناجيل من اختلاف، وتناقض.

وكم عدد أولئك الذين ذبحوا، وسفكت دماؤهم في الحروب الدينية لكونهم يدينون بدين مخالف؟ [1].

---

(1) الله ليس كذلك. ص ٥١ ، ٥٢ .

كما تشير في موضع آخر إلى جملة من العلماء[1] الذين أحرقوا، وفي طليعتهم العالم الفذ "روجر بيكون" (١٢٩٤) الذي زج به في السجن ١٥ عاماً حتى مات به بسبب ابتكاراته.

كما تم مع العالم الألماني " ڤيليبو" سنة ١٦٠٠ الذي قبض عليه في البندقية وسيق إلى روما، وبعد محاكمته أحرقته محكمة التفتيش الكنسية علناً في ميدان عام في روما لأنه انتقد تعاليم الكنيسة، ودعا إلى استعمال العقل والتجربة. وقد تم هذا مع آخرين كُثُر من العلماء، والمفكرين، والمبتكرين بحجة أن الأناجيل حوت كل الحقيقة فلا نحتاج إلى غيرها [2]. ويكفي فقط الرجوع إلى الوحي الانجيلي فهو وحده القادر على تزكية الروح وشرحها، لأن المرء يضل ويسئ استخدام قوى العقل إذا اتجه إلى درس الطبيعة.

---

(1) الإبل على بلاط قيصر ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(2) الله ليس كذلك ص ٧٨ .

ويقول بولس : " لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله ... والرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة .. "[١].

وبهذا القول الذي يمثل تعاليم الكنيسة اقتدى الغرب فسار في نفق التخلف والجهالة. حتى أدى به الخزي والانحطاط إلى أن يسطو على إنجازات الفكر العربي وينتحلها لنفسه بشتى فنون السطو والانتحال وهو ما دافع الدكتورة هونكه إلى كشف زيوفه، وفضح وجوهه. كما أسلفنا

وهكذا قدمت الدكتورة/هونكه منهج المقارنة بين الإسلام والنصرانية، بصورة علمية دقيقة مؤصلة تاريخياً وواقعياً، كاشفة محاسن الإسلام، وعظمته في مقابل المخازي النصرانية، وظلام التعاليم الكنسية.

كما أن الناظر إلى عرضها لهذه النماذج يدرك بجانب دقتها العلمية ــ أنها قصدت إلى تعرية الغرب، وفضح

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٧ .

مزاعمه تجاه الشرق، وهو ما يمثل لرأيها قيمة كبرى تضاف إلى ضميمة الآراء السديدة في الغرب، والتي تعزز موقفنا في الحوار معه.

بل إننا نختم رحلتنا مع هذه العالمة وهي تطلق صرخات مدوية في أفق الغرب المعتم كي يفيق من ثباته، ويعود إلى رشده فيتعامل مع الإسلام الذي يراه عدواً، بينما تراه هي صديقاً هادياً وبانياً للإنسانية قيم التحضر، والرقي، وأنه منقذ للغرب والشرق.

المبحث الخامس

مستقبل الإسلام ، وإنقاذه للغرب

تلك نتيجة حتمية، وحقيقة ثابتة وصلت إليها الدكتوره هونكه من خلال دراساتها المتأنية، واستشرافاتها الوثابة لمعالم الإسلام من جميع جوانبه العقدية، والتشريعية، ونصوصه الربانية، والنبوية، والوقوف على شخصية النبي (ﷺ) ، وأتباعه المسلمين، والعرب في كل أطوارهم التاريخية والفكرية، والعسكرية، والاجتماعية .... الخ

فوجهت نداءاتها إلى العرب والمسلمين أولاً، ثم إلى الغرب المسيحي ثانياً. مؤكدة على أن المستقبل للإسلام، وأن العالم كله في فراغ لن يملأه إلا الإسلام، كما أنه تخبط في أودية الضياع، ولا منقذ له إلا الإسلام.

* **أما نداؤها في العرب والمسلمين** الذين كانوا بناة الحضارات، وباعثوا النهضات ثم تقهقروا، وتقوقعوا يوم أن أفرطوا في الانفتاح على الغرب بكل مفرداته وفرطوا في ماضيهم التليد، فقد صرخت فيهم منادية بضرورة الأخذ، والاستمساك بالقاعدة المثلى، والأصيلة في التعامل مع الوافد

الجديد، وهي قاعدة **"الجمع بين الأصالة والمعاصرة"**، وأن على المسلمين أن يحرصوا على مكونات الحضارية الإسلامية المتميزة المتمثلة في اللغة العربية، والدين، وعودة الوعي، والرجوع إلى الهوية الذاتية [1]، دونما تغريب واغتراب، ودونما عزلة، وانغلاق وتشير إلى " أن العرب انطلقوا في البداية من هذه القاعدة، فلم يترددوا في الأخذ عن أولئك الغرباء ما رأوه ضرورياً لبقائهم، دون أن يحاكوه محاكاة عمياء، ثم واصلوا فوقه البناء بطريقتهم الخاصة، وبالوسائل التي أتاحها لهم نبوغهم المميز، ... وهكذا غدوا أكفاء لخلق إيداع فكري جديد، قيِّم من الدرجة الأولى منتم إليهم.

أما التوسل بأمجاد الماضي التليد، فإنه لا يجدي فتيلاً، وإن التفاخر بالعصر الذهبي للتاريخ العربي لا يجوز أن ينقلب إلى هروب من الواقع، أو أن يكون اعتذاراً واهياً يكتفي المرء بالاتكاء عليه، فيزكي بذلك كبرياءه فحسب،

---

(1) الله ليس كذلك . ص ٩٥. كما سبق بيانه عند حديثنا عن مقومات النهوض الحضاري في الإسلام.

... فالتعليم من الماضي لبناء المستقبل ، حق مفروض .. ورفض غلو التقوقع والانغلاق ....، وغلو الانفتاح المطلق بلا قيد ولا شرط، والمؤدي إلى الاغتراب .. هو شرط للنجاة من الانحياز لجبهة واحدة، الأمر الذي يتهدد الحياة ... لقد أعقب المرحلة الأولى التي تلت الاستقلال، والتي اتسمت ــ على جميع المستويات ــ باتخاذها الأنماط الغربية أو الأيديولوجيات الروسية قدوة لها. انتكاس المسيرة، وسرعان ما تمخض ذلك عن عدم الثقة بكل ما هو غريب دخيل ورفضه، خاصة ما أتى من " الغرب " وقد ارتبط ذلك بإحياء الإسلام والرجوع إليه [١].

وتضيف د/هونكه إلى ندائها للعرب والمسلمين اعترافاً صريحاً، وشهادة ترفعها إلى قمة العلماء المنصفين : ــ

- بعالمية الإسلام.
- وأنه منقذ البشرية.

---

(١) الله ليس كذلك . ص ٩٦.

▪ وتدعوا إلى اتباع الرسول (ﷺ) إذ نقول : ـ

" باعتباري محبة للعرب والإسلام أدعو كل المسلمين في شتى أنحاء العالم لطريق رسول الإسلام ـ (ﷺ) ـ فبغير هذا الطريق لن يجدوا أنفسهم، الإسلام لم يأت للعرب فقط، بل جاء للعالم كله، بدليل أن رسوله نشره في كل الأرجاء أيام حياته، فهل سيظل المسلمون على هذا الجمود ؟ أرجو أن يتبعوا طريق الرسول الكريم " [1].

---

(1) انظر " علماء وحكماء من الغرب انصفوا الإسلام ص ٨٣ " .

على الغرب أن يقبل الإسلام وأن يتعايش معه

* **وأما نداؤها في الغرب الذي هو أسير الصدمة النفسية تجاه الشرق عموماً، والإسلام خصوصاً، فقد صرخت في وجه الكبرياء والغرور الغربي قائلة :**

" لقد حان الوقت كي نطرح عنا غرورنا، وكبريائنا الزائفة، وأن نحطم ذلك السد الحائل المخزي الذي أقامته الصدمة النفسية المتغلغلة فينا، نتيجة الفخر الكاذب، والإجحاف الظالم بعد تسعمائة عام من ذلك النداء البابوي الوخيم المشئوم على النصارى (شعب الله المختار) " [1].

" لأن الإسلام، وبعدما عاناه لقرون طويلة من الجمود الأصولي العصبي، ومن الاستعمار الغريب، ومن الحجر على عقل ، وتفكير شعوبه ، فإنه اليوم يشهد بعثاً مطهراً من الأدران مجدَّداً ، ومعيداً للشباب، ويعيش أيضاً تفهماً طبيعياً ، واستعداداً طبيعياً لتلقي، واكتساب ما وضعته العبقرية العربية الإسلامية لدينا ليُستَتْبت، وينمو، وكم سقت مياه عربية، حقول حضارتنا، وأروتها"[2]. وإنه لمن الأمور

([1]) الله ليس كذلك . ص ١٠١.

([2]) التوجه الأوربي إلى العرب ص ٢٨٣، الإبل على بلاط قيصر ص ٢٦٩.

التي تثير دهشتـــنا، وخجلنا أن نقرر أنه على الرغم من العيش طول ١٢٠٠عام في حيرة، ورغم اللقاءات، والتبادل الفكري مع شعب يعيش على أبواب أوربا مباشرة جنباً إلى جنب معنا، فإن جهلنا بطبيعته وفكره لا يزال شائعاً[١].

كما تؤكد لقرائها في كل مؤلفاتها تقريباً على أن الشرق والغرب لا ينفصلان وتدعو كلا الطرفين إلى ضرورة التعايش وخاصة الغرب بمحاولاتها الدائمة ــ كما رأينا من خلال الدراسة ــ إلى تصحيح الصورة السيئة للإسلام في الغرب، وترفع في وجه الغرب حقيقة دائماً ينكرها رغم إدراكه لها وهي " أن الغرب بقي في تأخره ثقافيا، واقتصادياً طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام، ولم يواجهه، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً، وعلمياً، وتجارياً واستيقظ الفكر الأوربي على قدوم العلوم، والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قروناً ليصبح أكثر غنى، وجمالاً، وأوفر صحة وسعادة .. والعداء الديني، والتعصب الأعمى كانا أسوأ قائد للشعوب حرماها من الحياة والازدهار، ولئن كان

---

(١) الإبل على بلاط قيصر ص ٢٧٣.

التقارب بين الشرق والغرب، في فترات متباعدة، قد أدى إلى نقل الحضارة العربية إلى أوربة لتبدأ نهضة الغرب، فإن التنازع الدائم بينهما قد مثل هو الآخر دوره في شحذ الهمم، وخلق الحضارة الغربية إلى حيز أوربه، والبشر جميعاً [1].

فالعالم في فراغ لن تسده سوى تعاليم الإسلام، والفرصة متاحة ليتلقى الأوربيون الإسلام، فهم في حاجة إلى منقذ ولا منقذ لهم سوى الإسلام [2].

كما تدعو الغرب إلى تفهم الشرق، والاعتراف لذوي العقيدة المخالفة بحقهم في الوجود، والحرية، وتركهم يعيشون داخل الوطن نفسه كشريك يقف على قدم المساواة[3].

وتدعو إلى توسيع دوائر التلاقي والتفاهم مع الشرق قائلة " إن ما أريد تحقيقه هو أن نحاول أخيراً إيجاد قاعدة عريضة للفهم المتبادل لتعايشنا في الحاضر، والمستقبل مع

---

(1) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٥٤١ ، ٥٤٢.

(2) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام ص٨٣.

(3) الإبل على بلاط قيصر ص ٢٧١.

العالم العربي، ومن أجل اللقاءات، والأحاديث مع ساستنا، وعلمائنا، ورجال الاقتصاد لدينا، ومهندسينا، وصحفيينا، وكذلك بالنسبة إلى حركة التجوال الكبرى للسياح بل بالنسبة للعرب، والألمان بصفتهم شركاء مستقبل في السياسة الدولية" [١].

وأخيراً لا يمكننا أن نختم دعوتها للغرب إلا بهذه العبارة التي جمعت خلاصة الدراسة، ولخصت رأيها في الإسلام بصدق، وإنصاف لم نشهد له مثيلاً بين ركام الآراء، والمذاهب الغربية التي تابعت الإسلام عن كثب، ووقفت على تعاليمه بوعي ودقه حيث قالت :

" إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة، وإنصافاً، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواء إذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه والجهل البحث به، وإن علينا أن نقبل هذا الشريك الصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو"[٢].

---

(١) نفس المصدر ص ٢٧٤.

(٢) الله ليس كذلك ـ ص ١٠١.

خاتمة

وبعد هذه الدراسة الموجزة لفكر العالمة الجليلة المستشرقة الألمانية "زيجريد هونكه" والتي أكدت على بعض الحقائق الجوهرية البارزة في شخصيتها، وشهدت بها مؤلفاتها، ومشاركاتها العلمية، والتي نستطيع رصد أهمها فيما يلي : ـــ

أولاً : أنها وجهت جهودها إلى تصحيح صورة الإسلام في الغرب، واستخدمت في ذلك شتى المناهج . العقلية، والتاريخية والاستنباطية، والواقعية، وهو ما جعل لآرائها قيمة وقوة.

ثانياً : دافعت عن الإسلام بالحجج والبراهين التي ما كان غيرها ليستطيع تقديمها في وجه الغرب لا سيما فهي أخبر بتاريخ اللقاءات الدامية بين العرب، والمسلمين، وبين الغرب الصليبي ـــ بحكم ديانتها، وفهمها لبني جنسها ـــ فكانت بنظرتها الفاحصة، واستخلاصها للأدلة الدامغة. أن أخرست الغرب، وأفحمت عقلاءه قبل عوامه، فلم يحيروها جواباً.

ثالثاً : تأتي محاولاتها المشكورة، وجهودها الموفورة لتجسد دعوتها الملحة للغرب ــ على اختلاف ثقافته ــ إلى التخلي عن نظرته الموروثة إلى الشرق الإسلامي بعين الغرور، والغطرسة، وأن يقبل الإسلام، شريكاً في معترك الحياة، وجاراً يجب أن يُحترم، وإقامة أواصر الود، وجسور التلاقي معه بدلاً من رفضه، وعدائه في الوقت الذي غدت فيه حاجة الغربي إليه ماسة، وضرورة ملحة إن أراد النهوض.

رابعاً : برز لدينا مدى ما تمتعت به الدكتورة هونكه من حب واحترام لذاتها أولاً، فلم تخرج ــ إلا في القليل النادر، وربما صاحبها بعض العذر ــ عن منهج الإنصاف والعدل في النظر إلى الخصم، وإن اختلفت معه في العقيدة، بل برز لدينا مدى حبها، واحترامها للإسلام ــ كما صرحت بذلك ــ ثانياً وكما ذكرنا في البدء نؤكد في الختام : إن دراسة هذه الشخصية وأمثالها تمثل شهادة غالية لها وزنها العلمي، وثقلها الثقافي تضم إلى الوثائق التاريخية التي جادت بها عقول وألسنة الغرب، نرفعها في وجه الغرب،

وهو الأمر الذي يجعل لدراستنا هذه ـ على وجازتها ـ قيمة في شأن العلاقات الفكرية، والدينية بين الشرق والغرب في العصر الحديث تطبيقاً للمنهج القرآني السديد : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾[1].

خامساً : إن البحث بهذه المساحة الضيقة لا يمثل استقراء كاملاً لكل القضايا التي تعرضت الدكتورة هونكه لدراستها، كما لا يمثل حصراً شاملاً لكل آرائها، وإنما اتجه البحث إلى أبرز قضاياها، وآرائها بالقدر الذي يُسْمَحْ به لعرضه في غير إيجاز مخل، ولا إطناب ممل.

على أن الدراسة يقصد بها أن تفتح للباحثين آفاقاً رحبة وأبواباً يلجها المتخصصون في كل فن. لا سيما وأن د/هونكه شخصية جامعة بين ثقافات شتى، ورؤاها في الإسلام، والمسحية ما زالت تحتاج إلى أبحاث، ودراسات بالإضافة إلى أن ما كتب عنها ـ حقاً ـ ما زال ـ بالنسبة إلى وزنها العلمي، ومكانتها المرموقة ـ ضئيلاً ، يحتاج إلى جهود أكبر.

---

(1) سورة يوسف جزء آية رقم (٢٦) .

وحسبنا أننا حاولنا فتح أبواب موصدة علها تكون مهيأة أمام غيرنا من الباحثين، لمزيد من التعمق في الدراسة .

وإلى باب الكريم نيمم وجوهنا، سائلين إياه أن يتقبل منا عملنا،وأن يغفر تقصيرنا، وأن يجعل هذه السطور زاداً لنا، وإسهاماً منا في الدعوة إلى دينه.

والحمد لله في البدء وفي الختام،،،،،،

المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم.

٢ــ الكتاب المقدس.

٣ــ التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم تأليف الدكتورة/ زيجريد هونكه ترجمة د/ هاني صالح ط دار الرشيد مؤسسة بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٩هــ ١٩٩٨م .

٤ــ شمس العرب تسطع على الغرب للدكتورة / زيجريد هونكه من منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط الثامنة ١٤٠٦هــ /١٩٨٦م .

٥ــ في ألمانيا أصابت امرأة وأخطأ البابا للدكتور / صلاح سلطان بدون .

٦ــ قالوا عن الإسلام للدكتور/ عماد الدين خليل ط الندوة العالمية للشباب الإسلامي ط الأولى ١٤١٢هــ /١٩٩٢م .

٧ـ صورة الإسلام في مرايا المفكرين مقال للدكتور/ حسين على محمد منشور على شبكة الإنترنت منتدى القصة العربية. بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٦م .

٨ـ الله ليس كذلك للدكتورة/ زيجريد هونكه ترجمة الدكتور/ غريب محمد غريب ط دار الشروق مؤسسة باقاريا مجلة النور الكويتية .

٩ـ الإسلام في عيون غربية للدكتور/ محمد عمارة ط دار الشروق ط الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

١٠ـ الإبل على بلاط قيصر للدكتورة/زيجريد هونكه ترجمة الدكتور/ حسام الشيمي ط العبيكان ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

١١ـ ألمانا والعالم العربي للدكتور/ مصطفى ماهر ط بيروت سنة ١٩٧٤م .

١٢ـ مناهج المستشرقين في دراسة العقيدة الإسلامية عرض ونقد تأليف د/رمضان عبدالباسط سالم. ط مصر للخدمات العلمية بالقاهرة ط الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٣ــ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ الإمام محمد عبده ط دار المنار بمصر سنة ١٣٧٣هــ.

١٤ــ وحي الله حقائقه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين تأليف الدكتور/ حسن ضياء الدين عتر ط الثانية ط دار الفنون للطباعة والنشر جدة .

١٥ــ القرآن والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي ط جمعية الدعوة الإسلامية.

١٦ــ القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي للدكتور/ محمد محمد أبو ليله ط دار النشر للجامعات سنة ٢٠٠٢م.

١٧ــ دفاع عن القرآن ضد منتقديه للدكتور/ عبدالرحمن بدوي ط الدار العالمية للكتب والنشر سنة ١٩٩٩م.

١٨ــ ماذا يريد الغرب من القرآن للدكتور/ عبدالراضي محمد عبدالمحسن ط ضمن سلسلة مجلة البيان سنة ٢٠٠٦م.

١٩ــ العقيدة والمعرفة للدكتورة/ زيجريد هونكه ترجمة الدكتور/ عمر لطفي ط دمشق سنة ١٩٨٧م.

٢٠ـ الإسلام وبناء المجتمع للدكتور/ حسن عبدالغني أبو غده ط الثالثة نشر مكتبة الرشد سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م . السعودية.

٢١ـ فقه السنة للشيخ/ سيد سابق ط بيروت دار الكتب ط الثالثة ١٣٩٢هـ.

٢٢ـ مكانة المرأة تأليف د/ محمد البلتاجي ط القاهرة دار السلام ط الأولى ١٤٢٠هـ .

٢٣ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري تأليف الدكتور/ محمود حمدي زقزوق. ط دار المعارف بالقاهرة.

٢٤ـ المرأة بين الفقه والقانون د/ مصطفى السابعي المكتب الإسلامي ط السادسة. ١٤٠١هـ .

٢٥ـ ماذا عن المرأة تأليف د/ نور الدين عتر ط دار الفكر ط الثالثة ١٣٩٩هـ دمشق.

٢٦ـ الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به د/ عبدالحليم عويس ط دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة ط الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٢٧ـ فضل العرب على أوربا للدكتورة/ زيجريد هونكه ترجمة فؤاد حسين علي ط القاهرة سنة ١٩٦٤م وأيضاً تعريب فاروق بيضون .

٢٨ـ عيون التراث وذخائر التاريخ للأستاذ/ أنور الجندي ط دار الصحوة بالقاهرة سنة ١٩٩٤م .

٢٩ـ حضارة الإسلام تشرق من جديد للأستاذ/ أنور الجندي مطبوع ضمن سلسلة على طريق الأصالة الإسلامية ط دار الأنصار بالقاهرة.

٣٠ـ هكذا كانوا يوم كنا تأليف الدكتور/ حسان شمسي باشا.

٣١ـ علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام تأليف الحسيني الحسيني معدي ط دار الكتاب العربي دمشق القاهرة ط الأولى . ٢٠٠٧م.

٣٢ـ الإسلام كما يراه ألماني مسلم للمفكر الألماني مراد هوفمان نقله إلى العربية كامل إسماعيل ط مكتبة العبيكان ط الأولى ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م.

٣٣ـ الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام للدكتور/محمد إبراهيم الفيومي ط دار الفكر العربي سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٣٤ـ القيم الإنسانية بين حضارتين عوامل الالتقاء وكيف ننميها تأليف/الأنبا يوحنا قلته بحث منشور ضمن كتاب المؤتمر السابع للفلسفة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م.

٣٥ـ هموم الأمة الإسلامية للدكتور/ محمود حمدي زقزوق ط الهيئة العامة للكتاب بمصر سنة ٢٠٠١م.

٣٦ـ أثر الحضارة الإسلامية في أوربا الغربية للدكتور/ إبراهيم الشريفي بحث منشور ضمن كتاب " بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية " نشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر بالإسكندرية سنة ١٩٨٣م.

٣٧ـ الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية للدكتور/ أحمد محمود هويدي ط القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

٣٨ــ المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية الجزء الأول دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجد ط دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ط الأولى سنة ١٩٧٨م.

٣٩ــ تاريخ الفلسفة في الإسلام لديبور بدون.

٤٠ــ الفكر العربي في التاريخ تأليف "أوليري" ترجمة إسماعيل بيطار ط دار الكتاب اللبناني بيروت سنة ١٩٧٢م.

فهرس الموضوعات